

ISSN 2008-5087

عدد خاص حول الإمام الرضا عليه السلام (ع)

الهدية

العدد ٣٥٩ ■ آب - ٢٠١٧ م

من فضائل الإمام الرضا (ع)
أئمة أهل البيت والسلطان المعنوي
الإمامة كما وضعتها الأمام الرضا (ع)
الإمام الرضا بين الدور الاجتماعي والدور الفكري

CAD 3.00
D 4.50
DT 4.000

كندا
استراليا
تونس

YTL5.50
USD 3.00
MYR 4.000
KD 2,000

تركيا
امريكا
ماليزيا
الكويت

QR 20.00
RO 20.00
S 1.22.
SYP 200.00

قطر
عمان
المملكة المتحدة
سوريا

AED 25.00
SAR 20.00
S 1.22
LL 6000

الامارات العربية
المملكة العربية السعودية
السودان
لبنان

Fa

Ar

En



www.shamstoos.ir



بنیاد بین المللی فرهنگ و هنر امام رضا (ع)

المركز الدولي و الثقافي و الفني للإمام الرضا عليه السلام

Imam Reza (AS) International Foundation For Culture & Art

الامام الرضا (ع)

ملتقى للفضائل في جميع ابعادها

اذكى الخلفاء العباسيين وهو المأمون الذي رشحه للخلافة أولاً ثم فرض عليه قبول ولاية العهد ثانياً و ذلك في عصر كانت الانتفاضات العلوية تزلزل عرش الطغاة العباسيين.

إن الدوافع الخبيثة للمأمون لم تكن خافية على الامام الرضا (ع) كما أنه لم تخف عليه متطلبات الظرف الذي كان يعيشه، وقد اكره على قبول ولاية العهد. ولكنه فوت الفرصة الذهبية التي كان يطمح المأمون بتحقيقها من خلال اكرامه على قبول ولاية العهد اذ اغتنم الامام الرضا عليه السلام هذا الظرف الذهبي الذي جاء به ولاية العهد بافضل وجه ممكن من اجل نشر معالم الاسلام الحق و تثبيت دعائم اطروحة مذهب اهل البيت عليهم السلام متحدياً كل الخطوط الفكرية و المذهبية المنحرفة انذاك.

و قد ادرك المأمون عمق الخطر الذي كان يحيق به و بحكومته من خلال تواجد الامام الرضا (ع) في مركز حكمه كما لاحظ نمو و شموخ خط الولاء لاهل البيت عليهم السلام فلم يجد بداً بحسب مقابسه الباطلة من القضاء على شخص الامام و اغتياله بطريقة خبيثة.

و قد استشهد هذا الامام العظيم بعد أن ارسى قواعد الرسالة و المذهب الحق لفهم الاسلام و تبليغه كما ربي عدة اجيال من العلماء الكبار الذين حملوا مشعل الهداية في تلك الظروف الحرجة التي عانت منها الامة الاسلامية في ظل الحكم العباسي.

و اسفرت مدرسة الامام الرضا (ع) العلمية عن تربية و تخريج كوكبة من العلماء الذين كان عددهم يناهز الثلاثمائة.

و الذي يراجع مسند الامام الرضا (ع) و يلاحظ النصوص التي وصلتنا عنه يدرك حجم نشاطه العلمي و يلمس عمق المستوى الذي بلغته مدرسة الامام الفكرية و ما ابدعه هذا الامام العظيم من قواعد و اساليب لتحقيق اهداف مدرسة اهل البيت للوصول الى القمة التي كان تستهدفها حركة اهل البيت الرسالية في مجالي العلم و السياسة معاً.

لقد كانت شخصية الامام الرضا (ع) ملتقى للفضائل في جميع ابعادها و صورها فلم تبق صفة شريفة يسمو بها الانسان الا و هي من نزاعته. فقد وهبه الله كما وهب آباءه العظام و زينه بكل مكرمة و حباه بكل شرف و جعله علماً لامة جده يهتدي به الحائر و يسترشد به الضال و تستنير به العقول.

فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حياً.

اكبر شيخ «مدير مؤسسة الامام الرضا الدولية للثقافة و الفن»

آن سيرة الائمة الاثني عشر من اهل البيت عليهم السلام تمثل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (ص) ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الاصيل الذي اخذ يشق طريقة الى اعماق الامة و وجدانها بعد أن اخذت طاقتها تتضاءل بعد وفاة الرسول (ص) فأخذ الائمة المعصومين عليهم السلام يعملون على توعية الامة و تحريك طاقتها باتجاه تعزيز الوعي الرسالي للشريعة و لحركة الرسول (ص) و ثورته المباركة غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة و الامرة جمعاء .

وتبلورت سيرة الائمة عليهم السلام في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية ومصايح لانارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم فكانوا هم الراشدون الى الله لنيل مرضاته و المستقرين في امرالله و الذائنين في الشوق اليه و السابقين الى تسلق قيم الكمال الانساني المنشود.

وقد حفلت حياتهم بانواع الجهاد و الصبر على طاعة الله و تحمل جفاء اهل الجفاء حتى ضربوا اعلى امثلة الصمود لتنفيذ احكام الله تعالى ثم اختاروا الشهادة مع العز على الحياة مع الذل حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرخون و الكتاب ان يلموا بجميع زوايا سيرتهم العطرة و يدعوا دراستها بشكل كامل، من هنا فان محاولتنا هذه انما هي تقديم قبسات من سيرتهم و سلوكهم ومواقفهم التي دونها المؤرخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق عسى الله ان ينفع بها أنه ولي التوفيق. و يختص هذا العدد من المجلة بدراسة حياة الامام على ان موسى الرضا عليه السلام ثامن أئمة اهل البيت بعد رسول الله و هو من اعلام الهدى الذي تمثلت في حياته كل جوانب الشريعة فكان نبزاساً و مثلاً أعلى للبشرية بعد خاتم المرسلين و آباءه الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

فقد ولد هذا الامام العظيم في عصر المنصور العباسي و بعد استشهاده جده الامام الصادق عليه السلام نشأ في أكرم بيت من بيوتات قريش ألا و هو البيت الهاشمي العلوي بيت الامامة و الشهادة و ترعرع في احضان ابيه الكاظم (ع) وعاش معه اكثر من ثلاثة عقود عاصر فيها اربعة من خلفاء بني العباس الذين لم يألوا جهداً في اطفاء نور هذا البيت الرفيع.

و برز الامام الرضا (ع) على مسرح الحياة السياسية الاسلامية كألمع سياسي عرفه التاريخ الاسلامي في عصره فقد كان الرضا (ع) صلباً في مواقفه السياسية و صريحاً كل الصراحة و لم تخدعه الاساليب الخبيثة و المزيفة التي سلكها

قراءة في شخصية الإمام الرضا

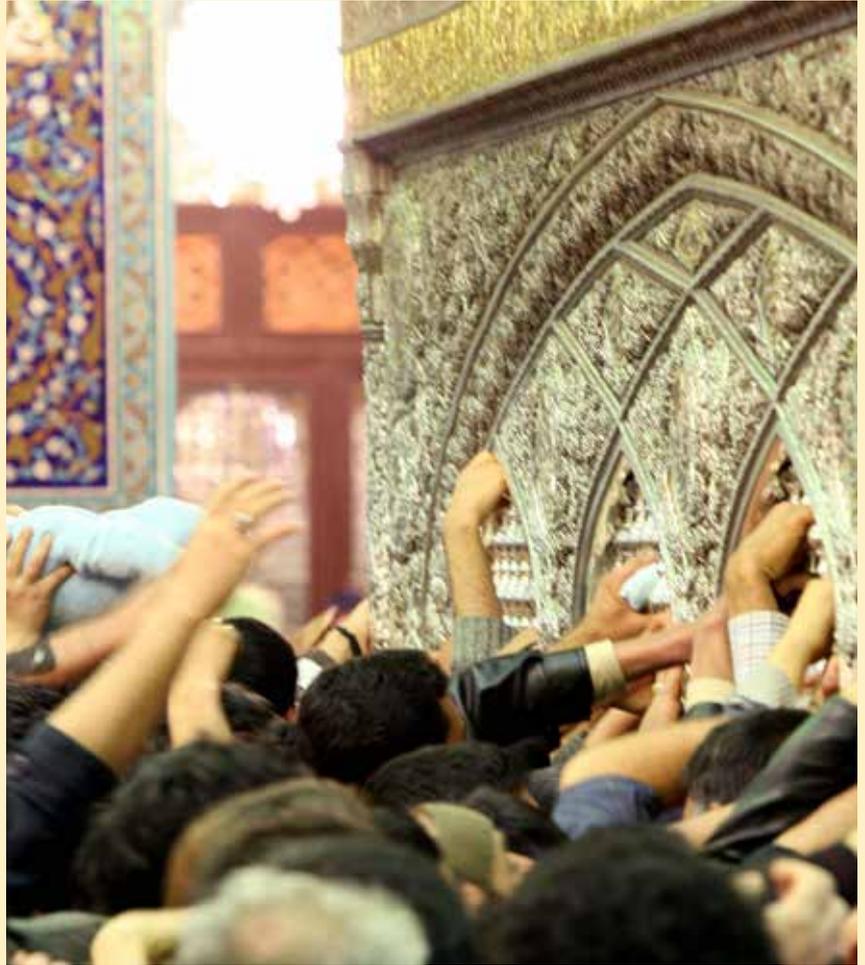
« الدكتور رضا العطار

لقد اتسمت حياة الإمام الرضا - عليه السلام - بالطابع المأساوي . فقد شهد الإمام (ع) منذ بداية حياته ضرباً من المحن والبلايا التي لحقت بآبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - . ذلك الإمام الجليل الذي كان وجوده مبعث قلق للحكم العباسي ومصدراً لهواجسه رغم موقف الإمام المسالم منه . وعندما ارتقى الرشيد سدة الحكم بدأت رياح المعاناة اللاهبة تشتد وتصر الكيان العلوي . ولم تعد السجون من شراهة الحكم في الانتقام من خصومه ابتدعت ضرباً من التعذيب تنفخ منها النفس البشرية . كانت تعليمات الحكام العباسيين إلى البنائين تقتضي أن يملوا فراغات أعمدة البناء بالصفوة الشابة من العلويين وهم إحياء ثم يسدوا عليهم منافذ الحياة ليموتوا خنقاً . هذا ما يحدثنا ابن أثير وبعد اغتيال الرشيد للإمام موسى بن جعفر - عليه السلام - . والإمام الرضا يراقب تلك الأحداث بأوجاع قلب كسير التي التهمت الكثير من أهل بيته وأبناء عمومته . وقد كتب للإمام أن يعاصر مأساة أبيه دون إن يملك القدرة على التخفيف من حدتها . حيث لا سبيل له إلى ذلك . ولربما كان ينتظر المصير نفسه . لان الخصومة كانت قائمة بين مغتصبي الخلافة وبين أصحابها الشرعيين من آل بيت رسول الله - عليهم السلام - .

وبعد هلاك الرشيد وانقضاء أيام الأمين واستلام المأمون مقاليد الحكم بدأت رياح الاضطهاد تهب على الإمام من نوع جديد . فقد عاشها بمرارة ولوعى . لقد شاء الخليفة العباسي المأمون ولظروف سياسية غامضة أن يجعل من الإمام الرضا وسيلة يساوم بها مع الشيعة في خراسان والعباسيين في بغداد من جهة ومع العلويين في كل مكان من جهة ثانية .

لقد اجبر الإمام آخر المطاف على قبول ولاية العهد رغم رفضه إياها مراراً وتكراراً وعندما بدا المأمون يهدد بقبولها التمس الإمام إليه أن يعفيه من هذا التكليف فأردف المأمون قائلاً : انك يا أبا الحسن تتلقاني أبداً بما أنا كارهه وقد أمنت سطوتي فبالله إن تقبل ولاية العهد و إلا ضربت عنقك .

كانت العلاقة بين العلويين والمذاهب الإسلامية الأخرى في زمن أئمة الشيعة تتسم بروح الأخذ والعطاء ولم تظهر التأثيرات المذهبية و العصبية السياسية إلا في الأزمنة المتأخرة في غياب أئمة الشيعة . حيث ظهر الجدل عند المذاهب وتوسعا في مباحث الكلام وتعصب الفرقاء في إثبات ما يؤمنون به من المذاهب مما عمق شقه الخلاف



عليه السلام - وسيرته التي اتسمت بالكفاح المرير طيلة حياته ولهذا السبب أقدمت على الكتابة بأسلوب حر طليق محاذاً الموضوعية قدر الأمكان . من دواعي سروري أن تكون إحدى هواياتي الشخصية هي قراءة سيرة العظماء في التاريخ . كما أود أن أعلمكم إن بعد الانتهاء من مطالعتي الشاملة لسيرة الإمام الرضا - عليه السلام - واطلعت على معاناته بكل مفرداتها التفصيلية ترى لي إن الإمام الثامن للشيعة كان هواداً هؤلاء العظماء .

يقول المفكر العربي عامر ثامر في كتاب الإمامة في الإسلام . يعتبر الإمام الرضا - عليه السلام - من الأئمة الذين لعبوا دوراً كبيراً على مسرح الأحداث الإسلامية في عصره . وبالرغم من وفرة الروايات والثوابت المنقولة إلا إن ما كتب عن الإمام لم يعطي التاريخ حقه . فالمعلومات المعروفة عند الناس شحيحة في حجمها ناقصة في جوهرها . ومن المؤسف إن قليل من المسلمين من يعرف عن شخصية الإمام الرضا -

واله وسلم- الذي توج رسالته بها من المثل العليا حين قال : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق....
وفي فلسفة الإمام الرضا - عليه السلام - في حقل الفضائل الأخلاقية نذكر ما يتعلق بالحلم و التسامح حيث اعتبرها الإمام عنصراً مهماً في التعامل الحضاري المقبول بين أفراد المجتمع الواعي ، وأنه سيزيد من عزة الإنسان كما يدخل في بعض حالات الرد والقصاص ان يشد الإنسان العزم على التماسك الغضبي متحدياً الموقف الحرج بقوة السيطرة الذاتية على اندفاعه النفسي والعاطفي وبأندفاعاته يكسب التقرير والإكبار إمام الآخرين . فالمعروف إن صفة التسامح في المواقف الجدية الساخنة هي من أزرى أخلاقيات الرجل الحكيم .

يقول المؤرخ الأبي : لقد شاء الخليفة المأمون أن يضرب عنق رجل والإمام حاضر في مجلسه فقال المأمون ماذا تقول يا أبا الحسن ؟ فقال الإمام : إن الله لا يزيدك بحسن العفو إلا عزاً .. فغفي عنه . وفي عالم فضائل الأخلاق كذلك كان الإمام من ازهد الناس خلقاً وأبعدهم من حطام الدنيا ومفاتها لكن مفهوم الزهد عند الإمام - عليه السلام - يقتصر على اللباس الخشن والمأكّل الجشيب . بل تمتد جذوره إلى ابعاد من ذلك . فالزاهد هو ذلك الإنسان الذي لا يعطي المجال لمتع الدنيا ومغرياتها إن تتحكم في عقله إنما تكون له قوة السيطرة عليه كأن الدنيا لا تمثل عنده غاية يسع إليها فان أقبلت فبها وإن أدبرت كانت عند الله أبقى .

قال الأبي في نثر الدرر : انه دخل على الإمام الرضا بخراسان قوم من المتصوفة وقالوا ان أمير المؤمنين يحتفظ فيما ولاه الله تعالى من الأمر . وطلبوا منه أن يدر عليهم هذه الأمر والمطلوب هو أن يفرض الإمام على المسلمين اللباس الخشن والأكل الجشيب .

فقال الإمام : كان نبي الله يوسف يلبس الديباج المزدان بالذهب ويجلس على أرائك من ذهب و يستعمل متكئات إلى فروعون ، لكن لم يكن ذلك لينقص من حكمته شيئاً إنما كان يراد قسطه وعدله . فإذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعد أنجز . إن الله لا يحرم على عباده اللباس والطعام . قل من حرم علي العباد الطيبات في الحياة الدنيا التي أنعمها الله . كما جاءت بهذا المعنى في سورة الأعراف في القرآن الحكيم . وبذلك أثبت الإمام إن المظهر الخارجي للزهد له علاقة له بواقع الزهد . ربما كان ذلك كذباً يحاول البعض أن يلفت به انتباه الآخرين .

واثار العنف بين أصحاب المناهج و لم ينتهي الأمر إلى التفسير والتكفير بل تجاوز ذلك إلى إراقة الدماء ومن المؤسف حقاً أن يعتمد الحكم العباسي المنحاز إلى إثارة تلك النعرات المقصودة وإفساح المجال للعناصر الشريرة إن تنفث سمومها .

لقد جاء في كتاب العهد الذي خطه الخليفة المأمون مذكراته بيده قوله « لاحظت في شخصية الرضا السجيا الحميدة كأفضل العميم و العلم الغزير و الزهد الخالص و التخلي عن متاع الدنيا وقربه إلى الناس فالألسن عليه متفقة و الكلمة فيه جامعة فقد تجلى في الإمام المقام الرفيع منذ إن كان يافعا حدثاً ثم مكتهلا .

وكذلك وصف الجاحظ الإمام الرضا - عليه السلام- الذي عاصر حياته فقال: كان الرضا عالم زاهد ، ناسك شجاع ، جواد كريم . كما جاء في النجوم الزاهرة كان المأمون العباسي يعظم الإمام الرضا ويجلله ويخضع له ويتفاني في سبيله .

ويروي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام انه كان يقول لبيته . هذا أخوكم الرضا زاخر بعلم آل محمد فأسالوه في دينكم و دنياكم و احفظوا ما يعظكم به .

ويروي عن الصولي انه قال : ما رأيت اعلم لآيات من القرآن المجيد .

ويروي عن ابن الضحاك قوله: والله ما لله منه ولا اشد خوفاً إلى الله منه ويروي عن لإجراء المناقشة والحوار فغلبهم الإمام و لم العميم و اقر على نفسه بالقصور . نحن لسنا بحاجة إلى شهادة بشر

ويكفي أن نستفيد من مواصفاته التي ولم يكن في متسع أي إنسان الرضا - عليه السلام- لعدم المعرفي و الارتقاء إلى الرضا على أصالة الأيمان وهذه بعض النماذج الإمام من جده رسول



الأمين مثلا لا يرتوي في احتساؤه حتى كان يصل مساءه بصباحه متتابعاً محاطاً بالجواري والغلمان وسط أصدااء الرقص والغناء غير مبال لوقار الخليفة وبالإسلام الذي يدعي زعامته.

لقد كثر الرقيق عندهم كثرة مفرطة ما كانوا يؤسرون في الحروب وقد عجت صور الخلفاء بألوف الجواري وكان معظم الخلفاء من أبنائهن.

أقول لا ريب أن هذا كله كان على حساب الشعب الأعزل الذي كان يعاني حياة البؤس والشقاء لبنعم الخلفاء وحاشيتهم بحياة ملؤها الفسق والفجور وبسبب هذا الظرف الشاذ لجأ إمامنا الرضا إلى التربية الثقافية الإيمانية.

ولم يقتصر اهتمامه على التوعية الكلامية إنما تعدى ذلك إلى الرقابة الصارمة على سلوك الشخص ضمن المسيرة الذاتية للمسلم الملتزم. ولم يعترف الإمام يوماً بشرعية السلطة القائمة ومع ذلك كان الإمام يشجع المشاركة في الحكم. لو كانت هذه المشاركة تدفع من التظلمات عن الشعب المغلوب على أمره وإصلاح ذات البين كان الإمام لا يقر لأحد من أتباعه توظيف نفسه في خدمة حكومة فاسدة إلا إذا كان ذلك لمصلحة الدين ليس إلا... كيف كان للإمام أن يتعايش مع رموز الخلافة بعد ما تجردت الأخيرة من محتواها القدسي وانحرف سلوك رجالها عن النهج السليم.

هذا السلوك الذي حطم الحاجز النفسي والروحي للأمة عن طريق نشر المفاصد في كل مكان كعرض الرقص الفاضح وغناء التهلك والغزل المكشوف والعشق الشاذ حيث زخرت بها قصور الخلفاء حتى أن العامة من الناس كانوا يصفونها بالحنانات الليلية ولم يخجل بعض الخلفاء أن يدعوا أمة الشيعة إلى مجالس الطرب كما فعل ذلك المتوكل مع الإمام الجليل علي الهادي - عليه السلام - .

لقد كان من عادة الخليفة العباسي المتوكل الاستهزاء بالإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - فكان ينادي ندبه الذي كان أصلاً بدينا إلى قاعة الملاهي في قصره قائلاً: جاء الأصلح البطين جاء أمير المؤمنين فيضحك الحاضرون والغريب أن هذا المتهتك يقتل على يد ابنه المستنصر...

فهل يروق إن نسمى هؤلاء الموبقون خلفاء الإسلام؟ أي خليفة إسلامية هذه التي لا تغمض جنونها إلا على أوتار المغنين ورقص الجاريات وطبول المخنثين؟

وأي الإسلام هذا الذي لا يطيب لخلفائه الطرب إلا مع السكارى والمخربدين؟ أي واقع إسلامي هذا الذي تتحكم فيه شرذمة

كانت العلاقة بين

العلويين والمذاهب

الإسلامية الأخرى في زمن

أئمة الشيعة تتسم بروح

الأخذ والعطاء ولم تظهر التأثيرات

المذهبية و العصبية السياسية

إلا في الأزمنة المتأخرة في غياب

أئمة الشيعة. حيث ظهر الجدل

عند المذاهب وتوسعا في مباحث

الكلام وتعصب الفرقاء في إثبات

ما يؤمنون به من المذاهب مما

عمق شقه الخلاف واثار العنف

بين أصحاب المناهج

الإنسان بالحرية والعدالة والمساواة يشكل المقومات الأساسية لحقوق البشر التي عن طريقها تتحقق سعادة الفرد.

لا يخفى إن الإمام بعد إن فرضت عليه ولاية العهد من قبل المأمون قسراً وبدا يمارس مسؤولياته أحس أن أساليب الحكم العباسي لاتتمشى ونهج الإسلام الحنيف، فأموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم تستباح من قبل النظام وتبدد من قبل الخلفاء ومن لف لفهم على البذخ والترفع والتمتع بالملذات الحلال فيها والحرام: ففي مجال الإشراف الكافر والاستهانة بمشاعر الشعب أوريكم على سبيل المثال وصفا لحفلة زفاف أقالها الخليفة المأمون لعروسته بوران التي قال عنها المؤرخ ابن طيفون انها كانت من غرائب قصص الخيال. فقد نثرت على رؤوس الضيوف وكان غالبيتهم من أقارب الخليفة ووزرائه وقواد جيشه كميات من مصقول البندق الذي كان يحتوي في داخله رفاق كتب عليه إحدى العبارات الثلاث- إما قرية أوجارية أوفرس. فالضيف الذي ينال بندقة يذهب إلى الوكيل بسجل ما بداخلها ملكا صرفا لحاملها فلو كان من نصيبه قرية - أصبح الضيف في تلك الساعة صاحب تلك القرية بما فيها من بشر وحيوانات وقلاع وبساتين وغيرها. وهكذا مع البقية فتصوروا!

إما في مجال المحرمات فقد كان الخلفاء العباسيون يهيمون بشرب الخمر وكأنها في قلوبهم جذوة الغرام بها لا سبيل إلى إطفائها. فكان الخليفة

يحدثنا ابن عباد عن طبيعة السلوك الأزهدى للإمام فيقول: كان يجلس الرضا عليه السلام في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح وكان يلبس الغليظ من الثياب وقد تشربت روحه بطبيعة الرضا لمغريات الحياة حينما يخلوا بنفسه مبتعداً عن الحياة العامة. إما حين يظهر للناس فإنه يتزين لهم انسجاماً مع ما فطروا عليه من مظاهر الدنيا والتمتع بزيتها وأفرحها. إن هذا السلوك الواقعي للإمام يعطينا المثال الرائع على واقعية أئمة الشيعة الأطهار - عليهم السلام - لفطرتهم الصافية للحياة المجردة من كل شائبة أوزيف.

إما موقع الإمام في مجال حقوق الإنسان فكان موقعا متقدما ضمن الفضائل الأخلاقية.

يذكر المؤرخون بينما كان الخلق مجتمعين في مجلس الإمام الرضا يسألونه عن الحرام والحلال أقدم رجل وبعد السلام طلب الدخول فأذن له. ثم سئل أن يعرض أمره فقال: بينما كنت في طريق الحج فقدت نفقتي وليس معي ما ابلغ هدي في فان ارتأيت يا بن رسول الله إن تهضني إلى بلدي.

فإذا بلغت مقصدي بالذي توليني. فقال - عليه السلام - خذ هذا المال واستعن به في مؤنتك ونفقتك واخرج فلا بد أن أراك أوتراني ثم خرج السائل سراعاً. فأبدى احد الحضور موجهها كلامه إلى الإمام قائلاً.... جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت لكن لماذا أسترت وأخضبت وجهك؟

فقال الإمام: لئلا أرى ذل السؤال في وجه السائل لقضائي حاجته. إما سمعت قائله ينشد:

رجعت إلى أهلي ووجهي مائه

متى أتبه يوماً لأطلب حاجة

فالإمام يحتجب عن سائله حين يقدم له العطاء لئلا ينظر ذل السؤال في وجه السائل ويتحفظ السائل بعزه نفسه حين يستتر عن وجه المعطي في حالة العطاء ويطلب منه أن يخرج لئلا يراه صونا لنفسه بعدم الشعور بالمنة على سائله وصونا لسائله عن تقديم الامتنان له.

فليس هدف العطاء في نظر الإمام هو كسب ود الآخرين واحتوائهم عاطفياً بل اعتبار أن الكرم صفة خليقة محمودة يقترّب بها الإنسان من ربه حينما يشاركه بما انعم عليه وحياه من فضله.

بعد سرد هذه الفضائل الأخلاقية علمتم إن هدف الإمام الرضا كان مرتكزا على خدمة الإنسان لئلا حياة كريمة يليق به. بصرف النظر عن عقيدته أو عرقه أو لغته أولون بشرته باعتبار إن حق

مستهترة بالقيم الإسلامية!!

وكيف ننظر إلى أمتنا الأبناء وهم يخاطرون بأرواحهم في سبيل تحمل مسؤولية في سلطة يقودها هكذا أفراد؟

لقد كان موقف الامام الرضا - عليه السلام - تجاهه هكذا سلطة سلبيا يتسم بالدعوة الصريحة إلى افتتاح على الرسالة المحمدية ومبادئها السامية ومحاولته على فهم الواقع الهزيل للنهج العباسي في قيادة الأمة الإسلامية .

يقول الأديب العربي أنيس منصور ان من سخرية القدر يمكن أن يحكم العرب والمسلمين خليفة هوفي معظم الحالات ابن جارية جيء بها من بلاد غريبة لا تمت بالإسلام ولا بالعرب بصلة يرفع اسمه في الدعاء على

المأمون التي اعتبرها المؤرخون من أسوأ فترات حياة الإمام الرضا اضطرابا .

فقد أصبح لشخص المامون دورا بارزا في تقلبات الأمور وانعكاساتها على مسرح السياسة العباسية. كان المأمون من أقوى الخلفاء العباسيين شخصية وأكثرهم اعتدالا وأخصبهم ذهنا وأوسعهم ثقافة. وقد اختلف المؤرخون على موقف المأمون من التشيع . فمنهم من أكد على تشييعه وآخرون اعتبروا ذلك تكتيك سياسي يهدف إلى رعاية مشاعر الإمام الرضا - عليه السلام - وشييعته لكن الحقيقة على ما يبدو كانت غير ذلك ... كان المأمون يدعي أفضلية الإمام علي علي سائر الخلفاء وأحقيته بالخلافة بعد رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم-... لذلك منع سب



المنابر صلاة الجمعة من قبل كافة مسلمين العالم .

لقد كانت أجواء الاضطهاد المحاطة بالإمام الرضا مشحونة بالإرهاب إلى حد دفع بالإتباع إلى محاولة إبعاد الإمام عن مواطن الخطر والتخفيف من وطأة النشاط الديني والابتعاد عن المواقف الصريحة التي تلفت انتباه العدو. لقد كانت بين الحين والآخر تظهر ثورات العلويين كرد فعل لسياسة الظلم والجبروت التي كانت تمارس من قبل الحكام العباسيين كثورة إبراهيم بن موسى بن جعفر في اليمن ... وبعد هلاك الرشيد وانقضاء أمر الأمين وانتقال السلطة إلى المأمون بعد إن عصفت ببغداد إحداث دامية تعرض معظم معالمها الحضارية إلى الخراب دخل الإمام الرضا - عليه السلام - فترة

فطريا ومنذ طفولته حيث كان يشرف على تربيته مدرب شيعي غرس في روحه فكرة التشيع حينما كان مقيما في منطقة خراسان التي يغلب على أهلها مشاعر التشيع للإمام علي عليه السلام.

بعد موت الرشيد بدأت شقة الخلاف تستفحل بين ولديه الأمين والمأمون وعند ما تأزمت الحالة بينهما وانقلبت الأوضاع تقدم المأمون بجيشه واحتل العاصمة بغداد .

كان على المأمون بعد إن استقر له الحكم أن يعهد ولاية العهد من بعده إلى شخص كفيء موثوق به وكان عليه إن يكون دقيقا في الاختيار منسجما مع دقة الظروف السياسية حينذاك يربط بين نتائج الماضي وتوقعات المستقبل للسيطرة على مشاعر الشيعة في خراسان والشعور العباسي في العراق .

وقد اختار الإمام الرضا - عليه السلام - لولاية العهد وفرضا عليه فرضا . إما السبب الذي دفع الإمام إلى الرضا هو إدراكه بان المأمون يريد ان يجعل من شخصه ورقة مساومة بينه وبين الفئات السياسية والمذهبية المتناحرة وإلا ما هو الحكم من إصرار المأمون على الإمام بالقبول وتهديده إن امتنع. ولم يكن امتناع الإمام محض زهد كيف وهو يرى نفسه احق بالخلافة. لكنه كان واثقا من عدم شفافية الأمر وأنها لعبة من المأمون يريد ان ينفذها على أكتاف الإمام - عليه السلام - وان عدم قبوله للخلافة ربما يعرضه للنقد الواسع من قبل شييعته ومحبيه ولاعتقادهم بان الخلافة هي بالأساس نص ثابت لآل البيت - عليهم السلام - وعليه ان يقبلها. لكن أصحاب الإمام كانوا على درجة عالية من الوعي السياسي بنحو لانتطلي عليهم خدعة المأمون ... ويروي إن الإمام الرضا شوهد مرة وقد رفع يديه إلى السماء قائلا اللهم انك تعلم إنني مكره مضطر فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك ونيك يوسف بن يعقوب في توليه منصب ولاية مصر لدى فرعون. وبالرغم من مشاعر الإعجاب بالمقام القديس للإمام إلا إن الشك به يساور المأمون إلى حد قام يفرض أرقابه المشددة عليه .

وعند ما أرغم الإمام على قبول ولاية العهد قال للمأمون : إنني سوف لا أعين أحدا ولا اعزل أحدا ولا انقض رسما ولا سنة . فلوشاء الإمام إن يشارك في إدارة الدولة لكان ذلك منه بمثابة اعتراف ضمن بشرعية الحكم . لكنه فضل التمسك بدور المستشار حفاظا على مصلحة الإسلامية التي يجب رعايتها . وعندما قبل الإمام ولاية العهد مضطراً أمر المأمون بإقامة احتفال مهيب يليق بمقام المناسبة جمع فيه زعماء وقواد الجيش

الإمام علي من على المنابر بعد ان فرضه معاوية بن أبي سفيان في الشام على الملّة وكان المأمون يعطف على العلويين . فقد رد أليهم فدك وفدك كانت ارض ملكها رسول الله ولكن بعد موته أسقطها الخليفة الاول من ارث فاطمة الزهراء - سلام الله عليها . كما كتب المأمون رسالة قال فيها ويحكم يا بني أمة لقد قتلتم زعماء الشيعة وكان يقصد بها الإمام الحسين وأهل بيته - عليهم السلام - في واقعة الطف بكربراء . كما قال :

وإما نحن بنوا العباس فقد قتلنا منهم كثيرا. فبأي ذنب قتلوا ؟ وقد ذهب البعض إلى إن تشيع المأمون كان

وهنا أشار هاجس الحدس بان المأمون هو الذي أمر بدس السم في طعام الامام ان الظرف التاريخي حينذاك قد يساعد على قبول مثل هذا الرأي . ولكن المؤرخين أمثال ابن الأثير وابن طاووس وابن الجوزي يستبعدون ذلك وقد كتب المأمون إلى اهالي بغداد ويعلمهم بوفاة الإمام الرضا - عليه السلام - ويسألهم الدخول الى طاعته . ويروي الطبرسي أن الإمام الرضا - عليه السلام - مات مسوماً ودفن في قرية سنا باد بأرض طوس قرب قبر هارون الرشيد عام ٢٠٣ للهجرة . وعندما أذيع خبر الوفاة في العاصمة الإسلامية خرجن نساء وجواري المأمون حافيات حاسرات يلطنن الوجوه يتقدمهن الخليفة المأمون وهو يضرب على رأسه والدموع تسيل على وجنتيه ثم وقف على نعش الإمام ناحيا قائلا سيدي أي المصيبتين أعظم على فقدي إياك أوتهممة الناس إني قاتلك . هذه ما يرويه الطبرسي وقد رثى الإمام الشاعر أبو فراس الحمداني قوله :

وابعدوا بغضه من رشدهم وعمو
باتوا بفضل الرضا من بعد بيعته

ولا عين ولا قربي ولا رحم
لايبيعة ردتهم عن دمائهم

وقال الشاعر العلوي دعبل
الخرزاعي في رثاء الإمام:

وعاشت بنو العباس في عيثة
تحكم فيه ظالم وطنين

أتعجب للأخلاق ان يتخفوا
معالم دين الله وهومبين

ختاما أقول إن سياسة الدولة العباسية التي دامت زهاء خمسة قرون اتسمت بروح الدكتاتورية البغيضة وافتقدت إلى ابسط مبادئ حقوق الإنسان وقواعد العدل الاجتماعي فكان الظلم الصارخ يجرح روح إمامنا الرضا - عليه السلام - الذي واجه الإرهاب الأسود وقارع الكيان الفاسد في سبيل تقويم مسار الإسلام بعد ما حرقه أعداء الإسلام . ولم يكفي كفاح العمر كله لتحقيق الهدف السامي إنما ضحى الإمام - عليه السلام - بحياته أيضا .

اشارة: لقد تم تلخيص هذا المقال ليتناسب مع حجم المجلة.

والقضاة واجلس الإمام الرضا (ع) على عرش الخلافة وعليه الخضض والعمامة والسيف وشم أمر الخليفة المأمون الحاضرين بمبايعة الرضا رئيسا للعهد الجديد ثم اقترح المأمون على الإمام أن يلقي خطبته فقام الرضا - عليه السلام . وعند الانتهاء من إلقاء الخطبة أمر الخليفة بضرب سكه فطبع اسم الرضا - عليه السلام - مشفوعا بلقب السلطان على الدراهم والدينار. ثم أمر المأمون أبا نواس شاعر القصر ان يقول شعرا فارتجل على بديهة قائلا :

قيل لي أنت اشعر الناس طرا
في فنون من الكلام النبيه

لك من جوهر الكلام بديع
يثمر الدر في يدي مجتبيه

فعلام تركت مدح ابن موسى
والخصال التي تجتمعن فيه

لا أستطيع مدح إمام
كان جبرائيل خادما لأبيه

إن سياسة الدولة
العباسية التي دامت
زهاء خمسة قرون



اتسمت بروح

الدكتاتورية البغيضة وافتقدت

إلى ابسط مبادئ حقوق الإنسان

وقواعد العدل الاجتماعي فكان

الظلم الصارخ يجرح روح إمامنا

الرضا - عليه السلام - الذي واجه

الإرهاب الأسود وقارع الكيان

الفاسد في سبيل تقويم مسار

الإسلام بعد ما حرقه أعداء الإسلام

وعندما انتشر خبر قدوم الخليفة المأمون برفقة ولي عهده السلطان علي بن موسى الرضا - عليه السلام - من خراسان إلى العراق هاجت بغداد العباسية وماجت وعمت الفوضى أرجاء البلاد احتجاجا على هذا التنصيب ولم يمر وقت طويل إلا وتفاجئ المسلمون بإعلان نبأ وفاة الإمام الرضا - عليه السلام - وسط ظروف في غاية الغموض والسرية.

المقام العلمي للإمام الرضا (ع)



الثالث: تولي الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد جعل الانظار تتوجه نحو الامام عليه السلام والمناظرات العلمية التي أقامها المؤمنون العباسي بين الامام (ع) وأهل الفكر والديانات والمذاهب من المسيحيين واليهود والصابئين والفلاسفة والتي عرفت الناس بشكل أكبر على فضل وعظمة ومقام الامام (ع) العلمي والتي أجبرت أصحاب الفكر والديانات بالاقرار بأعلميته (ع).

فقد كان للإمام الرضا عليه السلام المقام العلمي الرفيع حتى نقل عن الأمام الصادق عليه السلام رئيس المدرسة الجعفرية كان موسى بن جعفر يقول لبنيه هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمد فسלוه عن أدبانكم و احفظوا ما يقول لكم فإني سمعت أبي جعفر بن محمد(ع) يقول لي إن عالم آل محمد لفي صلبك و ليتني أدركته فإنه سمي أمير المؤمنين (ع) .

عن محمد بن عيسى اليقطيني قال: لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب عنه خمس عشرة ألف مسألة.

عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي ولقد جمع المؤمنون في مجالس له ذوات عدد علماء الاديان، وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي أحد منهم إلا أقر له بالفضل، وأقر على نفسه بالقصور. ولقد سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: كنت

أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيأ الواحد منهم عن مسألة أشاروا إلي بأجمعهم وبعثوا إلي بالمسائل فاجيب عنها. وعن إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا عليه السلام يسأل عن شيء قط إلا علم، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الاول إلى وقته وعصره والمؤمنون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه ويمثله انتزاعات من القرآن وكان يخته في كل ثلاثة ويقول: لو أردت أن أخته في أقرب من ثلاثة تختمت ولكني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء انزلت وفي أي وقت؟ فذلك صرت أخته في كل ثلاثة أيام.. وعن الحسن بن علي بن الوشاء الذي تأثر بالفرقة الواقفية وجاء ليسأل الامام عليه السلام بعض المسائل قال: كنت كتبت معي مسائل كثيرة قبل أن أقطع على أبي الحسن عليه السلام وجمعتها في كتاب مما روى عن آبائه عليهم السلام وغير

الثاني: زوال البرامكة: كان لزوال البرامكة على يد هارون الرشيد والذين كانوا يعتبرون من أعداء أهل البيت عليهم السلام الدور الكبير في فتح المجال أمام الامام الرضا عليه السلام وأتباعه لنشر المعارف والعلوم الالهية .

أن العارف بمقام أهل البيت عليهم السلام يعلم أن هذه العلوم اللامتناهية الموجودة عند هذه العترة الطاهرة مستمدة من النبع الالهي وهذه العلوم لم يهبه الله عز وجل الا الى رسوله الاكرم صلى الله عليه واله وسلم فأهل البيت عليهم السلام عندهم كل علوم الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين. و أخبار السماء والارض فهم خزان وحى الله ولا يخفى عليهم شيء من امور الناس.

لكن هناك بعض الظروف والاسباب الخاصة ببعض الائمة عليهم السلام تهيئت الفرصة لهم بشكل أكبر وأوسع لنشر المعارف والعلوم الالهية التي يمتلكونها مثل عصر أمير المؤمنين (ع) ، والامام الباقر (ع) ، والامام الصادق (ع) ، وكذلك الامام الرضا عليه السلام حيث توفرت في عصره ثلاثة أمور ساهمت في تفجر العلوم والمعارف من جوانب هذا الامام الهمام صلوات الله وسلامه عليه:

الأول: فتنة الواقفية: حيث أن هذه الفرقة المنحرفة سعت جاهدة لنشر الشائعات والشبهات المطروحة حول إمامة الامام الرضا عليه السلام والتي دفعت بالامام (ع) الى رد هذه الشبهات والاجابة عنها وهداية الناس الى العقيدة الصحيحة.

تولي الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد جعل الانظار تتوجه نحو الامام عليه السلام والمناظرات العلمية التي أقامها المؤمنون العباسي بين الامام (ع) وأهل الفكر والديانات والمذاهب من المسيحيين واليهود والصابئين والفلاسفة والتي عرفت الناس بشكل أكبر على فضل وعظمة ومقام الامام (ع) العلمي والتي أجبرت أصحاب الفكر والديانات بالاقرار بأعلميته (ع).

من فضائل الإمام الرضا (ع)

أنه خير من هذا، وأوماً إلى عبد أسود من غلمانها، إذا كان ذلك بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن يكون له عمل صالح فأكون أفضل به منه“.

وقال له رجل: والله ما على وجه الأرض أشرف منك أبا، فقال عليه السلام: "التقوى شرفتهم، وطاعة الله أحفظتهم“.

وقال له شخص آخر: أنت والله خير الناس، فرد عليه قائلاً: "لا تحلف يا هذا، خير مني من كان أتقى لله عز وجل، وأطوع له. والله مانسخت هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾“.

« زهده: »

عن محمد بن عباد قال: كان جلوس الرضا عليه السلام على حصيرة في الصيف، وعلى مسح (الكساء من الشعر) في الشتاء، ولباسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزين لهم.

ويجمع الرواة أنه حينما تقلد ولاية العهد لم يحفل بأي مظهر من مظاهر السلطة، ولم

لقد كانت شخصية الإمام الرضا عليه السلام ملتقى للفضيلة بجميع أبعادها، فلم تبق صفة شريفة يسمو بها إلا وهي من ذاتياته، ومن نزاعته، فقد وهبه الله كما وهب آبائه العظام كل مكرمة، وجباه بكل شرف وجعله علماً لأمة جده، يهتدي به الحائر، ويرشد به الضال وتستنير به العقول. أما أخلاق الإمام الرضا عليه السلام فإنها نفحة من أخلاق جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله التي نعرض منها:

« تواضعه »

من معالي أخلاقه أنه لما تقلد ولاية العهد لم يأمر أحداً من مواليه وخدمه في الكثير من شؤونه وإنما كان يقوم بذاته في خدمة نفسه، ومن سمو أخلاقه أنه إذا جلس على مائدة أجلس عليها مماليكه وقد أعطى بذلك درساً لهم، لقاء التمايز بين الناس، وإنهم جميعاً على صعيد واحد. يقول إبراهيم بن العباس: سمعت علي بن موسى الرضا يقول: "حلفت بالعتق ولا أحلف بالعتق إلا أعتقت رقبة، وأعتقت بعدها جميع ما أملك، إن كان يرى

ذلك واحببت أن أثبت في أمره واختبره فحملت الكتاب في كمي وصرت إلى منزله وأردت أن آخذ منه خلوة فأناوله الكتاب فجلست ناحية وأنا متفكر في طلب الإذن عليه وبالباب جماعة جلوس يتحدثون فيبينما أنا كذلك في الفكرة في الاحتيال للدخول عليه وإذا بغلام قد خرج من الدار في يده كتاب فنادى أيكم الحسن بن علي الوشاء ابن بنت الياس البغدادي؟ فقلت إليه فقلت: أنا الحسن بن علي فما حاجتك؟ فقال: هذا الكتاب امرت بدفعه إليك فهاك خذه، فأخذته وتحتيت ناحية فقرأته فإذا والله فيه جواب مسألة مسألة فعند ذلك قطعت عليه وتركت الوقف. وما ينقلونه عن مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان واصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون حيث جمع له اصحاب المقالات مثل الجائليق وراس الجالوت ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر واصحاب زردهشت ونسطاس الرومي حتى دب الخوف في المحبين للإمام عليه السلام فيبادر الحسن بن محمد النوفلي لنصيحته (ع) فقال: جعلت فداك يريد الامتحان ويجب ان يعرف ما عندك؟ ولقد بني على اساس غير وثيق البنيان وبئس والله ما بني فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: ان اصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء وذلك ان العالم لا ينكر غير المنكر واصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك اصحاب انكار ومباهته ان احتججت عليهم بان الله واحد قالوا: صف وحدانيته وان قلت: ان محمداً رسول الله (ص) قالوا: اثبت رسالته ثم يباهتون وهو يبطل عليهم بحجته ويغالطونه حتى يترك قوله فاحذرهم جعلت فداك قال فتبسم ثم قال لي: يا نوفلي افتخاف ان يقطعوا على حجتي؟..... فقال لي: يا نوفلي اتحب ان تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التورية بتوراتهم وعلى أهل الانجيل بانجيلهم وعلى أهل الزبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى أهل الروم بروميتهم وعلى اصحاب المقالات بلغاتهم فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع الى قولي علم المأمون الموضوع الذي هو سبيله ليس مستحق له فعندها تكون الندامة ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم....

المصدر: موقع العتبة الرضوية



الإمام الرضا (ع) قمة في العلم، ومثال في العبادة والأخلاق

« آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله

« القمة في العلم والحكمة

الإمام الرضا (ع) هو الإمام الذي بلغ القمة في المرحلة التي عاش فيها، سواء في المدينة أو في إيران عندما ولّاه المأمون ولاية العهد بعده، من خلال اعترافه بفضلله ورؤيته بأنه ليس هناك في العالم الإسلامي، لا من العباسيين ولا من العلويين، من يقاربه علماً وفضلاً وحكمةً وروحانيةً وقوةً في الله. وينقل بعض معاصريه وهو يتحدث عن المستوى العلمي للإمام الرضا (ع)، يقول: "ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا، ولا رأه عالم إلا وشهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون - الخليفة العباسي - في مجالس له ذوات عدد من علماء الأديان - من اليهود والنصارى والمجوس وكل أصحاب التيارات الفكرية، وأراد لهم أن يوجهوا الأسئلة إلى الإمام الرضا (ع) بكل حرية، وكان (ع) يجيبهم عن كل سؤال كل بحسب دينه أو فكره - وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي أحد منهم إلا أقر له بالفضل وأقرّ على نفسه بالقصور".

لقد كان الإمام الرضا (ع) فيما يرويه بعض معاصريه، يجلس في مسجد النبي (ص) قرب الروضة الشريفة، وكان المسجد يعجّ بالعلماء الذين كان الناس يسألونهم، ولكنهم كانوا يعجزون عن الإجابة عن بعض الأسئلة، فيشيرون إلى الإمام الرضا (ع) ليجيبهم عمّا عجزوا عنه، ولقد قال بعض معاصريه، وهو إبراهيم بن العباس: "ما سئل الرضا عن شيء من مسائل الدين والدنيا إلا وعلمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء، فيجيبه الجواب الشافي، فكان جوابه وكلامه ومثله انتزاعات من القرآن"، فالقرآن الكريم كان عمق ثقافته.



يقم لها أي وزن ولم يرغب في أي موكب رسمي، وكره مظاهر العظمة التي يقيمها الناس لملوكتهم.

« سخاؤه

ولم يكن شيء في الدنيا أحب إلى الإمام الرضا عليه السلام من الإحسان إلى الناس والبرّ بالفقراء، وقد نقلت بوادر كثيرة من جوده وإحسانه كان منها: * إنه أنفق جميع ما عنده على الفقراء حينما كان في خراسان.

* ومن سخائه أنه إذا أتى بصحفة طعام عمد إلى أطيب ما فيها من طعام، ووضعه في تلك الصحفة ثم يأمر بها إلى المساكين، ويتلو هذه الآية: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ثم يقول: "علم الله عز وجل أن ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة فجعل له السبيل إلى الجنة".

* ومن بوادر جوده وكرمه أن فقيراً قال له: أعطني على قدر مروتي... فأجابته الإمام: "لا يسعني ذلك..." والتفت الفقير إلى خطأ كلامه فقال ثانية: أعطني على قدر مروتي... وقابله الإمام بسمات فياضة بالبشر قائلاً: "إذن نعم..." وأمر له بمائتي دينار. إن مروءة الإمام لا تُعد فلو أعطاه جميع ما عنده فإن ذلك ليس على قدر مروءته ورحمته التي هي امتداد لمروءة جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

« عتقه للعبيد وإحسانه إليهم:

ومن أحب الأمور إلى الإمام الرضا عليه السلام عتقه للعبيد، وتحريهم من العبودية، وقد روى عبد الله بن الصلت عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الإمام الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة فجمع عليها مواليه، من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة، فأنكر عليه ذلك وقال له: "إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأمّ واحدة، والجزاء بالأعمال...".



فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض - حيوي - إلى يوم القيامة"، ولذلك علينا أن نستنطق القرآن في كل ما يستجد عند الناس لنجد فيه حلوياً لمشاكلنا.

حَضَّ شِيعَتِهِ عَلَى الصَّلَاحِ

وكان الإمام الرضا (ع) يبعث برسائله إلى شيعته ليوجههم إلى ما فيه صلاحهم، وشيعته هم التابعون للخط الإسلامي الأصيل الذي يتمثل في خط الأئمة من أهل البيت (ع) الذين يجسدون رسالة رسول الله (ص). أرسل (ع) رسالة مع السيد عبد العظيم الحسني، وهو من العلماء المقربين، ومن أبناء الإمام الحسن (ع)، قال له: "يا عبد العظيم، أبلغ عني أوليائي السلام، وقل لهم ألا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً - أن لا يتبعوا خطوات الشيطان ولا يعبدوه، بل أن يعتبروه عدواً لهم - ومرهم بالصدق في الحديث - فلا أريد لشيعتي أن يكونوا الكذابين الذين يكذبون في ما يتحدثون به وفي ما يعاهدون ويعدون - وأداء الأمانة - أن يكونوا الأمانة على كل ما يأثمهم الناس - وبالسكوت وترك الجدل فيما لا يعينهم - إذا أرادوا أن يتجادلوا حول بعض القضايا، فعليهم أن يتحاوروا في الأمور التي تمثل مسؤولياتهم في العقيدة أو الشريعة أو الحياة - وإقبال بعضهم على بعض - أن يفتتح أوليائي وشيعتي على بعضهم البعض بالمحبة - والمزاورة، فإن ذلك قرينة إليّ، ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً، فإني آليت على نفسي أنه من فعل ذلك - من قام بتمزيق الواقع الإسلامي بالفتن والكلام غير المسؤول - وأسخط ولياً من أوليائي - وأهانته - دعوت الله ليعذبه في الدنيا أشدَّ العذاب،

الإمام الرضا (ع) هو الإمام الذي بلغ القمة في المرحلة التي عاش فيها، سواء في المدينة أو في إيران عندما ولاه المأمون ولاية العهد بعده، من خلال اعترافه بفضل ورؤيته بأنه ليس هناك في العالم الإسلامي، لا من العباسيين ولا من العلويين، من يقاربه علماً وفضلاً وحكمةً وروحانيةً وقوةً في الله.

للأشخاص، لتكون عبادتهم لله وحده، ولتكون طاعتهم لله وحده، وليكون اعتقادهم بالله وحده. وكان (ع) يشدد على أن يلتزم الناس بالقرآن، ففي بعض كلماته عن القرآن، وقد سأله شخص: ما تقول في القرآن؟ قال (ع): "كلام الله فلا تتجاوزوه - قفوا عند حدوده وتعاليمه - ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا". ويروي الإمام الرضا (ع) عن أبيه الإمام الكاظم (ع)، أن رجلاً سأل أبا عبد الله (ع) قال: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلا غضاضة؟ فالناس يقرأون القرآن ويدرسونه منذ أن بعث الله تعالى النبي (ص) به فلا يزداد إلا تجدداً، والعادة في الكتب التي يمر عليها الزمن أنها تسقط أمام القدم، فقال (ع): "أذن الله لم يجعله لزمان دون زمان - فالقرآن كتاب الحياة - ولا لناس دون ناس،

المثال في العبادة والتواضع

وكان في عبادته مضرب المثل، في خشوعه لله تعالى في كل لياليه، بابتهالاته وأدعيته وصلواته وعبادته، وكان المثل الأعلى في تواضعه، يقول بعض أصحابه: كنت مع الإمام الرضا في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً مائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك، لو عزلت لهؤلاء مائدة، فقال (ع): "إن الرب واحد - ربنا الله جميعاً - والأم واحدة - أمنا حواء - والأب واحد - وهو آدم (ع) - والجزاء بالأعمال". وقال لبعض أصحابه، وهو يشير (ع) إلى بعض السود من بعض خدامه والعبيد له: "أترى إلى هذا العبد الأسود؟" قال: بلى، قال (ع): "حلفت بالعتق، ولا أحلف بالعتق إلا أعتقت رقبة، وأعتقت بعدها جميع ما أملك، إن كنت أرى أي خير من هذا، بقربتي من رسول الله، إلا أن يكون لي عمل صالح أفضل منه"، فالتفضيل هو بالعمل لا بالقرابة، والله تعالى يقول: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". بهذه الروح العالية التي تحترم الإنسان من خلال إنسانيته، كان يعتبر أن التفاضل بين الناس ينطلق من خلال الأعمال لا من خلال الأنساب. وهذا توجيه لكل الذين يعتبرون أنفسهم أعظم من الآخرين لانتسابهم إلى رسول الله (ص)، وقد قال علي (ع): "إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته".

الالتزام بالتوحيد والقرآن

وكان الإمام الرضا (ع) وهو يسير إلى خراسان يجتمع الناس عليه، وخصوصاً الذين يكتبون الأحاديث عن النبي (ص) وعمّن روى عن النبي، اجتمعوا حول محمله وقالوا: حدثنا يا بن رسول الله، فحدثهم بهذا الحديث الذي يسمّى سلسلة الذهب، قال: "حدثني أبي موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر بن محمد قال: حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال: حدثني رسول الله قال: حدثني جبرئيل عن الله أنه قال: كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي". كان (ع) يريد أن يقول إن التوحيد هو الأساس؛ أن يوحد الناس ربهم ولا يشركوا به شيئاً، فهذه هي دعوة الأنبياء وكل مفردات الأديان التي تتحرك في خط التوحيد، فالرسالة تنطلق من خلال خط التوحيد الذي أرسل الله إلى العباد رسلاً يبلغونهم به. كان (ع) يريد أن يحصر الناس من كل عبادة



وكان في الآخرة من الخاسرين - هذه دعوة مخيفة لكل الذين يعملون على تمزيق كرامات الناس ولكل الذين يفتنون بينهم ويهدمون المجتمع - وعرفهم أن الله قد غفر لمحسنهم وتجاوز عن مسيئتهم، إلا من أشرك به أو آذى ولياً من أوليائى أو أضر له سوءاً، فإن الله لا يغفر له حتى يرجع عنه فإن رجع عنه، وإلا نُزع روح الإيمان من قلبه، وخرج من ولايتي ولم يكن له نصيب في ولايتنا، وأعوذ بالله من ذلك".

كان (ع) يوحى الناس إلى إحياء أمر أهل البيت (ع) حتى يتبع الناس خطهم، ولكن كيف نحيا أمرهم (ع)؟ بعض الناس يعتبر أن إحياء أمر أهل البيت باللطم وضرب الرؤوس بالسيف، وضرب الظهور بالزنجيل والسياط، ماذا يقول الإمام الرضا (ع)؟ يقول: "رحم الله عبداً أحيا أمرنا"، قالوا له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: "يتعلم علومنا - كل ما قاله أهل البيت في جانب العقيدة والشريعة والأخلاق، وكل ما يرفع مستوى الإنسان، ويثبت حضارية الإسلام - ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا".

وكان (ع) يؤكّد نقاطاً ثلاثاً، وهو يعالج مشكلة بعض الناس الذين ينسبون إلى أهل البيت (ع) أحاديث الغلو، يقول: "فإن الناس إذا سمعوا هذه الأحاديث التي تنسب إلينا كقولنا"، وهناك بعض الناس ممن يضع الأحاديث في إنزال أهل البيت (ع) عن مراتبهم، والبعض الثالث يضع الأحاديث في مثالب أعداء أهل البيت (ع)، ف"يشتمون أعداءنا، فإذا شتموا أعداءنا شتمونا".

وكان (ع) يؤكّد إعانة الضعفاء ويقول: "عونك الضعيف من أفضل الصدقة"، وكان (ع) يريد للإنسان أن يستنطق عقله ويصادقه، فيقول (ع): "صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله".

الإمام الرضا (ع) هو قمة من قمم الإسلام، وهو الإنسان الذي بلغ من القرب إلى الله، ما يجعلنا نتقرب به إليه تعالى كما نتقرب إليه تعالى بأبائه وأبنائه، هذا هو خط أهل البيت (ع) خط الإسلام الذي يقودنا إلى الصراط المستقيم.

المصدر: بينات

أدرك هارون الرشيد عمق الارتباط بين الإمام الكاظم (عليه السلام) والمسلمين، ووجد أن القاعدة الشعبية للإمام (عليه السلام) تتوسّع بمرور الزمن، فما دام الإمام حياً فإن المسلمين يُقارنون بين منهجين: منهج الإمام الكاظم (عليه السلام) ومنهج هارون، وبالمقارنة يشخصون النهج السليم المستقيم عن النهج المنحرف.

ومن هنا أدرك خطورة بقاء الإمام (عليه السلام) حراً نشيطاً، فأخذ يخطط لسجنه، وتجميد نشاطه والمنع من تأثيره في المسلمين.

إضافة إلى ذلك فإن مواجهة الإمام (عليه السلام) له في أكثر من موقف واعتراضه عليه أمر لا يمكن لشخصية مثل هارون أن تسكت عنه، كما لم يسكت الإمام على تصرفات هارون العدوانية على الأمة الإسلامية وشريعة سيد المرسلين، وتجلت المعارضة والمواجهة في مواقف وممارسات لم يستطع هارون استيعابها، فحينما قال له: يا أبا الحسن حُدّ فذك حتى أردّها عليك، فأجاب: «لا أخذها الأبدودها».

١٧٩ هـ) وبقي في سجن البصرة سنة كاملة. وفي سنة (١٨٠ هـ) سجن ببغداد، ونقل من سجن الى آخر حتى اغتاله أحد عملائه وهو في السجن. وكان الإمام الرضا (عليه السلام) يزوره في السنين الأولى من سجنه كما هو المستفاد من رواية على بن يقطين حول الوصية له^٥.

وأمر الإمام الكاظم (عليه السلام) الإمام الرضا (عليه السلام) أن: «ينام على بابه في كل ليلة ما كان حياً الى أن يأتيه خبره، فمكث على هذه الحالة أربع سنين، فلما كان ليلة من الليالي أبطأ عن فراشه ولم يأت فاستوحش العيال، فلما كان من الغد أتى الدار ودخل الى العيال وقصد الى أم أحمد زوجة أبيه، فقال لها: هات التي أودعك أبي، فصرخت وقالت: مات والله سيدي، فكفها وقال لها: لا تكلمي بشيء ولا تظهره، حتى يجيء الخبر الى الوالي^٦. وقد أوصل محمد بن الفضل الهاشمي خبر استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى الإمام الرضا (عليه السلام) بأمر منه ودفع اليه بعض الودائع لإرسالها اليه.

وفي اليوم نفسه ذهب محمد الى البصرة ليبلغ خبر استشهاد الإمام (عليه السلام) ثم تبعه الإمام الرضا (عليه السلام) بعد ثلاثة أيام من وصوله، فأقر له بعض أهل البصرة بالإمامة فرجع في نفس اليوم إلى المدينة. ثم أتجه الإمام الرضا (عليه السلام) إلى الكوفة والتقى بأتباع أبيه ثم عاد إلى المدينة^٧.

ولما شاع خبر رحيل الإمام الكاظم (عليه السلام) في المدينة اجتمع أتباع أهل البيت (عليهم السلام) على باب أم أحمد، واجتمعوا مع أحمد ابن الإمام الكاظم (عليه السلام) فذهب بهم إلى أخيه الإمام الرضا (عليه السلام) فبايعوه على الإمامة^٨.

ولم يتصد الإمام (عليه السلام) علناً لإمامة المسلمين، وإنما كان الأمر سرياً ولم يعلن عنه إلا بعد أربع سنين طبقاً لوصية أبيه.

وقد عاش الإمام الرضا (عليه السلام) محنة أبيه وانتقالاته من سجن الى سجن حتى استشهاداه ولم تكن الظروف ملائمة، ولم توجد مصلحة في إعلان المعارضة، فبقى الإمام (عليه السلام) يتجزع الأم ومرارة المحنة كاتماً أنفاسه مراعيّاً للظروف العصيبة التي تمر بالمسلمين عموماً وبأتباع أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً.

الانفراج النسبي في عهد هارون

لقد استشهاد الإمام الكاظم مسموماً سنة (١٨٣ هـ)^٩ وبايعاز من هارون الرشيد، وكان هارون



ومحنة أبيه الكاظم (عليهما السلام)

وقد حدّدها له بـ «عدن، وسمرقند، وافريقية، وسيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية»، وقد وضح الإمام (عليه السلام) بأنّ فدكاً هي الخلافة المغتصبة، وعند ذلك عزم على قتله^١.

وسلم هارون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند قبره قائلاً: السلام عليك يا رسول الله يا ابن العم، فقال الإمام الكاظم (عليه السلام): «السلام عليك يا به»، فقال هارون: هذا هو الفخر. ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استدعاه في سنة (١٦٩٩ هـ) وسجنه فأطال سجنه^٢ ثم أفرج عنه بعد ذلك. وأدخل الإمام الكاظم (عليه السلام) على هارون مرة، فقال له ما هذه الدار؟ فقال (عليه السلام): «هذه دار الفاسقين»^٣.

وكثرت الوشايات ضد الإمام (عليه السلام) عند هارون تحرضه عليه وكانت منها وشاية يحيى البرمكي حيث قال له: إن الاموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وإنّ له بيوت أموال^٤. فقام هارون باعتقال الإمام (عليه السلام) سنة (

عاش الإمام الرضا (عليه السلام) محنة أبيه وانتقالاته من سجن الى سجن حتى استشهاداه ولم تكن الظروف ملائمة، ولم توجد مصلحة في إعلان المعارضة، فبقى الإمام (عليه السلام) يتجزع الأم ومرارة المحنة كاتماً أنفاسه مراعيّاً للظروف العصيبة التي تمر بالمسلمين عموماً وبأتباع أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً.

الرضا (عليه السلام) بالأمر علناً عملاً بوصية من أبيه - كما تقدم - وكان ذلك في سنة (١٨٧ هـ) وهي السنة التي قام فيها هارون بقتل البرامكة، وكان لقتلهم دور كبير في خلخلة الأوضاع السياسية لأنهم كانوا أركان الحكومة ومشيدّي صرحها، وبقتلهم انتهت أو خفّت الوشايات على الإمام الرضا (عليه السلام) لأنهم كانوا من أشدّ المحرّضين على قتل أهل البيت (عليهم السلام)، وهذه الظروف ساعدت الإمام (عليه السلام) على التصدّي للإمامة، فقام بالأمر وهو مطمئن إلى عدم قدرة هارون على سجنه أو قتله، وقد حدّره بعض أنصاره من التصدّي للإمامة وقالوا: إنك أظهرت أمراً عظيماً وإننا نخاف عليك من هذا الطاغية فقال (عليه السلام): «ليجهدنّ جهده فلا سبيل له عليّ»^{١٦}.

وأجابهم في موقف آخر قائلاً: «إن خُدشت خُدشاً من قبل هارون فأنا كذّاب»^{١٧}.

وتصدّى الإمام الرضا (عليه السلام) لا يعنى المعارضة السياسية، فقد تصدّى الإمام (عليه السلام) لمحاربة الأفكار والعقائد الهدامة واهتم بنشر الفكر الاسلامي السليم في مجالي العقيدة والشرعية، وهذا الأمر لا يهّم هارون مادام الإمام (عليه السلام) لا يعارض سلطانه.

ومما ساعد على هذا الانفراج النسبي هو انتقال هارون إلى الريّ سنة (١٨٩ هـ)، ثم إلى خراسان سنة (١٩٢ هـ)، ثم وفاته سنة (١٩٣ هـ).

أعلام الهداية- الإمام الرضا (ع)

- (١) ربيع الأبرار: ١ / ٣١٦ وعنه في تذكرة الخواص: ٣١٤.
- (٢) البداية والنهاية: ١٠ / ١٨٣.
- (٣) الاختصاص: ٣٢٣ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٥٦.
- (٤) مقاتل الطالبين: ٤١٥.
- (٥) الكافي: ١ / ٣١١.
- (٦) الكافي: ١ / ٣٨١ - ٣٨٢.
- (٧) الخرائج والجرائح: ١٨١ / ٣٤٧ ح ١ وعنه في بحار الأنوار: ٤٩ / ٧٣.
- (٨) المختار من تحفة العالم للسيد جعفر بحر العلوم، الملحق بحار الأنوار: ٤٨ / ٣٠٧ - ٣٠٨.
- (٩) مروج الذهب: ٣ / ٣٥٥.
- (١٠) تاريخ يعقوبى: ٢ / ٤١٤.
- (١١) الإرشاد: ٢٤٢ / ٢٤٢ وعنه في اعلام الوري: ٣٤ / ٢ وفي كشف الغمة: ٣٤٣.
- (١٢) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٣٢٦.
- (١٣) الفصول المهمة: ٢٤٥.
- (١٤) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٠٥.
- (١٥) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٢٦.
- (١٦) اعلام الوري: ٢ / ٦٠٢ وفي الفصول المهمة: ٢٤٥.
- (١٧) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٣١٢.



إن موقف هارون هذا كان ناجماً عن رغبته في امتصاص النقمة الشعبية أولاً، ولم يلاحظ أي نشاط معارض لسلطانه من الإمام الرضا (عليه السلام) على الرغم من كثرة الجواسيس والوشايات وشدة المراقبة له.

التصدّي للإمامة

وفي الفترة الواقعة بين سنة (١٨٣ هـ) إلى سنة (١٨٧ هـ) لم يعلن الإمام الرضا (عليه السلام) عن إمامته، ولم يظهر له أي تحرّك علني في المدينة من خطب أو لقاءات عامّة، ولم يسجّل عليه أي حضور في المحافل العامة.

وقد أدرك هارون من خلال أخبار عيونه أنه كان بعيداً عن الأحداث، وهذا ظاهر من الرواية التالية التي تقول: «دخل أبو الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) السوق، فاشترى كلباً وكبشاً وديكاً، فلما كتب صاحب الخبر إلى هارون بذلك، قال: قد أمنا جانبه»^{١٤}.

ولم يصدّق هارون الأخبار الواردة عن غير طريق عيونه السريّة، كالخبر الذي أورده أحد أحفاد الزبير بن العوام على هارون من أنه: قد فتح بابه ودعا إلى نفسه، فقال هارون عند وصول الخبر: واعجباً من هذا! يكتب أنّ علي بن موسى (عليه السلام) قد اشترى كلباً وكبشاً وديكاً، ويكتب فيه ما يكتب^{١٥}.

فلم يلتفت إلى قول الزبير، وترك الإمام الرضا (عليه السلام) وشأنه، إلى أن مضت أربع سنين من استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) فقام الإمام

يخشى تسربّ خبر السم والافتتيال إلى المجتمع الاسلامي. من هنا خطط لتفادي ذلك، وذلك حين جمع القواد والكتّاب والقضاة وبنو هاشم، ثم كشف عن وجه الإمام (عليه السلام) وقال: أترون أنّ به أثراً ما يدلّ على اغتيال؟ قالوا: لا^{١٠}.

وأدخل السندي بن شاهك الفقهاء ووجوه أهل بغداد، ليتفحصوا في جثمانه، فنظروا إليه ولا أثر به من جراح أو خنق، وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك، وأخرج الجثمان الطاهر ووضعه على الجسر ببغداد ونودي: هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه^{١١}.

وبقيت الهواجس محيطة بهارون، حيث كان يحتمل أن تنفجر الأوضاع متمثلة في حركة شعبية واسعة تهدّد سلطانه، لذا اتخذ أسلوب التخفيف من محاصرة الإمام الرضا (عليه السلام) وأهل بيته لامتناس النقمة الشعبية وتقليل ردود الأفعال، ولم يتخذ أي إجراء متشدّد مع الإمام (عليه السلام)، ورفض الاستجابة لمن أراد منه قتله، كما نلاحظ في موقفه من عيسى بن جعفر حيث قال لهارون: أذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب، فإنك حلفت إنّ ادعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبراً، وهذا عليّ ابنه يدعى هذا الأمر، ويُقال فيه ما يقال في أبيه، فنظر إليه مغضباً فقال: وما ترى؟! تريد أن أقتلهم كلهم؟!^{١٢}.

وحينما حرّضه خالد بن يحيى البرمكي على قتل الإمام الرضا (عليه السلام) قال هارون: يكفيننا ما صنعنا بأبيه، تريد أن تقتلهم جميعاً؟!^{١٣}.

« سلوك العباسيين تجاه العلويين :

ورث المأمون الخلافة العباسية ، وكان على رأس برنامج العباسيين محاربة العلويين ، ومطاردتهم أينما كانوا والامعان في قتلهم والتنكيل بهم ، ولا يقل حجم الجنايات التي ارتكبتها بنو العباس في حق العلويين بسبب النزاع على مسألة الخلافة ، عن حجم جنايات الامويين ، ان لم يزد اضعافاً ، غاية الامر ان الامويين قد تلطخت ايديهم بدماء الامام الحسين (ع) ، والا فبغض النظر عن مسألة قتل سيد الشهداء (ع) فإن جرائم العباسيين اكثر بكثير من جرائم الامويين .

فالعداوة بين العلويين والعباسيين ليست ببسيطة خصوصاً وان العباسيين لم يكونوا يرحمون احداً في سبيل وصولهم الى كرسي الخلافة ، حتى لو كان المنافس عباسياً مثلهم ، فقد قتلوا أبا مسلم الخراساني مع عظم الخدمات التي اداها لهم ، وقام هارون بتصفية البرامكة جميعهم رغم التعاون والعشرة والمحبة الطويلة التي كانت بينهم وبين الخليفة ، وكان ذلك لسبب سياسي تافه ، واصطدام المأمون مع اخيه الامين ، وجرت بينهما حروب عنيفة ، وبعد ان انتصر عليه قتله ومثل به بشكل فظيح !

وفي ظل مثل تلك الظروف الدامية ، حدثت واحدة من عجائب التاريخ ، وهو ان يأمر مثل هذا الخليفة - القاتل المتعطش للحكم - بإحضار الامام الرضا (ع) من المدينة ، ثم يعرض عليه قبول الخلافة لكي يعتزل هو جانباً ، وبعد ان يرفض الامام هذا العرض ، يطلب منه ان يقبل على الاقل بولاية العهد ، ويصر على طلبه هذا حتى يصل الى درجة التهديد بالقتل . فماذا كان حافزه من وراء هذا العرض ؟ وماذا كانت حقيقة الامر ؟

مسألة ولاية عهد الامام الرضا (ع) والنقل التاريخي :

لم تتضح الاسباب التي كانت وراء اسناد ولاية العهد للامام الرضا (ع) ، ومن الذي كان وراء هذه القضية .

ولكن الاسرار لا تبقى مخفية تماماً كما يريد لها اصحابها ، فقد توضحت لنا نحن الشيعة الكثير من اسرار وجوانب هذه القضية ، وذلك عن طريق النقل التاريخي الذي وصل اليها عن طريق علماء الشيعة ، وقد استندت ايضا في بحثي هذا على بعض المراجع التاريخية السنية ، مثل كتاب "مقاتل الطالبين" لابي فرج الاصفهاني .

والان ندخل في بحث الحوافز التي دفعت المأمون الى طرح مسألة ولاية العهد بالنسبة للامام الرضا (ع) ...هل فكر المأمون حقاً في ان يستلم الامام الرضا (ع) زمام الامور من بعده ، ان مات او قتل ، اي ان تنتقل



ولاية عهد الامام الرضا (ع)

« الشهيد مرتضى المطهري

الشرعية لاعطاء مثل هذا المنصب . فكما اعتراضوا على الامام الحسن (ع) بأنه كان ينبغي أن يقاتل بدل أن يصالح ، ولو انجر الامر الى استشهاده ، كذلك هنا يستشكلون على الامام الرضا (ع) قبوله لولاية العهد من طرف المأمون ، وانه كان الاجدر به أن يرضى بالقتل والشهادة ، ولا يرضخ لتهديد هذا الخليفة الظالم . ونحن نحاول الان ان نبحث مسألة ولاية عهد الامام الرضا (ع) هذه التي تعتبر مسألة تاريخية هامة ، لكي تتضح ابعادها وتزول الشبهات منحولها . في البداية ينبغي ان ندرس هذه الحادثة من خلال الظروف التاريخية التي احاطت بها ، ثم بعد ذلك نتطرق الى بحث الاسباب التي أدت الى قبول الامام الرضا (ع) لولاية عهد المأمون وكيفية قبوله لهذا الامر ، وغير ذلك من المسائل ...

هذا البحث هو عبارة عن تلخيص جزء من كتاب سيرة الأئمة الأطهار للشهيد مرتضى مطهري ، تلخيص الفصل الذي يتكلم عن مسألة ولاية عهد الامام الرضا (ع) مع التصرف . يتعرض بحثنا هذا لشبهة عند بعض الناس ، نظير ما عرضت لهم في قضية صلح الامام الحسن (ع) على الرغم من ان صلح الامام الحسن (ع) وولاية عهد الامام الرضا (ع) يبدوان عمليتين متضادتينذلك أن الامام الحسن (ع) (سلم) الامر الى خصمه واعتزل ، بينما (استلم) الامام الرضا (ع) امراً من خصمه . ورأي أصحاب مثل هذه الشبهات ان هناك قاسماً مشتركاً بين الحادثتين ، وهو المداهنة مع السلطة الحاكمة الظلمة ، فالامام الحسن (ع) سلم الخلافة لشخص لا يستحقها من الناحية الشرعية . والامام الرضا (ع) استلم ولاية العهد من شخص لا يملك الصلاحية

الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ؟

وإذا كانت عنده فكرة كهذه ، فهل بقى على فكرته حتى النهاية ، حيث لا ينبغي في هذه الحالة ان نقبل مقولة أن المأمون قام بدس السم للإمام الرضا (ع) ، بل نؤيد قول الذين يعتقدون ان الامام الرضا (ع) انتقل عن دار الدنيا بالوفاة الطبيعية ؟ من زاوية نظر علماء الشيعة ، فإن وجود حسن النية عند المأمون واستمرارها للنهية امر غير مقبول ، بينما يعتقد كثير من الغربيين ان المأمون كان شيعياً في الواقع ، وكان يعتقد حقاً بأل علي ويحبهم باخلاص .

« الاحتمال الاول : فكرة المأمون نفسه

سلم ولاية العهد للإمام الرضا (ع) عن عقيدة وحسن نية ، ولكن حوادث الزمان منعت من تحقيق هدف المأمون ، لأن الامام الرضا فارق الدنيا باجله الطبيعي وانتفى بذلك هذا الموضوع !

ولكن هذه المسألة لا تبدو صحيحة من وجهة نظر علماء الشيعة ، ذلك ان الدلائل والقرائن قائمة على خلافها . ولو كان الامر قد تم حقاً في جو من الاخلاص والجدية ، لما كان موقف الامام الرضا (ع) سلبياً تجاه قبول ولاية العهد هذه فهو (ع) لم يتلق هذه المسألة بصورة جديدة ابداً .

في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين * فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون " فالمأمون مر بهذه التجربة ، وصلحت سيرته في بداية الامر ، ولكنه بعد ان تخلص من مشاكله نسي ما عاهد الله عليه ورجع الى طريقته المنحرفة .

« فكرة المأمون لاغراض سياسية :

وهو ان المسألة كانت من ابتكار المأمون ، ولكن لا على اساس العقيدة وخلص النية ، بل لاسباب سياسية بحته نذكرها فيما يلي :



« المأمون والتشيع :

يعتبر المأمون أكثر الخلفاء (الزميين) ، وربما أكثر سلاطين العالم علماً وثقافة ، وكان يحب العلم ، ويعشق المباحثات العلمية . ولا يوجد تردد في ان المأمون كان لديه ميل روحي وفكري باتجاه التشيع . وفي قصة روى المأمون فيها بنفسه كيف تعلم التشيع من ابيه هارون ، لما رأى من تصرفه وكلامه مع الامام الكاظم (ع) .

اذن فلا يوجد شك في وجود ميل الى مذهب التشيع عند المأمون ، غاية ما في الامر انه كان كما يقال عنه " شيعي قاتل للائمة (ع) " ، وهذه المسألة ليست غريبة ، فأهل الكوفة ايضا كان عندهم ميل للإمام الحسين (ع) ، وعقيدة في التشيع لاهل البيت (ع) ومع ذلك قتلوا سيد الشهداء (ع) . كذلك لا يوجد شك في ان المأمون كان رجلاً عالماً ، ومحياً للمسائل العلمية . ولهذا يعتقد كثير من الغربيين ان المأمون

« رأي الشيخ المفيد والشيخ الصدوق :

والفرض الآخر الذي لا يبدو بعيداً جداً ، لأن امثال الشيخ المفيد والشيخ الصدوق قبلوه وتبنوه ، هو أن المأمون كان مخلصاً في البداية تجاه الامام الرضا (ع) ، ولكنه ندم فيما بعد وغير نواياه . فعندما تابعت الهزائم على المأمون اثناء حربه مع اخيه الامين وأصبح مصيره واضحاً وانه سوف يُنكل به ، لجأ الى الله ونذر نذراً اذا حفظه الله وانتصر على اخيه فسوف يقوم بتسليم الخلافة الى اصحابها الشرعيين . وربما تكون عقيدة الشيخ الصدوق وامثاله صحيحة لانها تتلاءم مع منطق الطبيعة البشرية . حيث ان كل انسان عندما يمر بكرب عظيم ، ويبدأ من كل شيء في الحياة ، فإنه يلجأ الى الله سبحانه ويتخذ قرار التوبة والرجوع عن الغي . ولكنه عندما يجد الخلاص والنجاة فانه ينسى قراره وعهده مع الله . والقرآن يقرر هذا المعنى فيقول : " فإذا ركبوا

١- لفت نظر الإيرانيين

وذلك ان الإيرانيين عموماً كانت لهم ميول باتجاه التشيع وموالاة أهل بيت علي (ع) . وكانت ثوراتهم ضد الامويين منذ البداية تحت شعار " الرضا من آل محمد " . ولهذا فإن المأمون هو الذي اعطى لقب " الرضا " لعلي بن موسى (ع) . بعد ان نصبه لولاية العهد ، وكان يقصد بذلك احياء ذكرى حبيبة عند الإيرانيين الذين كانوا يقاتلون قبل حوالي تسعين عاماً تحت راية " الرضا من آل محمد " ، وبذلك لفت انتباههم ويكسبهم الى جانبه اولاً ، ثم بعد ذلك يقوم بازاحة الامام الرضا (ع) من طريقه ، ان ينتظر عامل الزمن ليسوي هذه المسألة ، فقد كان الامام يكبره بحوالي عشرين عاماً ، فرمى كان المأمون يقول في نفسه : ان ولاية العهد لهذا الرجل لا تشكل خطراً علي ، ولا شك انه سوف يموت قبلي .

من ابتكار الفضل بن سهل؟ وإذا كانت من ابتكار المأمون فهل كان عنده حسن نية أم لا؟ وإذا كانت نيته حسنة فهل استمر عليها الى النهاية أم رجع عنها؟ وإذا لم يكن عنده اخلاص وحسن نية فماذا كانت اهدافه السياسية؟

كل تلك الامور تعترضها الشبهات من الوجهة التاريخية. طبعاً معظم الاراء المطروحة لها ادلة ولكنها ليست قطعية.

واني ارى من الافضل ان نبحث هذه المسألة من وجهة الامام الرضا (ع)، ونضع نصب اعيننا المسلمات التاريخية الثابتة، لانه بذلك - حسب رأيي - نُحل كثير من المسائل المربوطة بالمأمون أيضاً.

« مسلمات تاريخية :

١- احضار الامام من المدينة الى (مرو) وقد تم هذا الامر من دون تشاور مسبق ولا بأخذ موافقة الامام على ذلك. فلم يسجل احد انه حصلت مفاوضات او مكاتبات مع الامام الرضا (ع) عندما كان في المدينة حول اسباب دعوة المأمون اليه. ولم يأمر المأمون باحضار الامام وحده، بل ومعه عدد كبير من آل أبي طالب أيضاً، وبالإضافة الى ذلك فقد حدد لرحلته مسيراً خاصاً بحيث لا يصادف مرور الامام الرضا (ع) على المناطق التي تقطنها الكثيرة شيعية، خصوصاً الكوفة، لانه كان يخاف من ردة فعل الشيعة تجاه اعتقال الامام واحضاره بالاجبار وبهذه الصورة. كما ان الافراد الذين اختارهم لهذه المهمة كانوا من الذين يحملون الحقد والعداء الشديد للامام الرضا (ع) وكان رئيسهم يدعى "الجلودي" وهو عربي بحسب الظاهر، وكان وفياً للمأمون وعدواً لدوداً للامام الرضا (ع).

٢- امتناع الامام الرضا (ع) :

يذكر ابو فرج في "مقاتل الطالبين" ان المأمون ارسل في البداية الفضل بن سهل واخاه الحسن بن سهل، الى الامام الرضا (ع) وطرحا عليه هذا الاثنان موضوع ولاية العهد، فامتنع الامام عن قبول هذا العرض، فقالا بلهجة تهديدية: ان هذه القضية ليست اختيارية، فنحن مأموران من قبل الخليفة ان نضرب عنقك في حال امتناعك. فأصر الامام على رفضه، فماذا كان منطوق الامام في رفضه، ولماذا امتنع عن الموافقة؟

لا يمكن الاجابة على هذا السؤال بصورة قاطعة طبعاً، ولكن الروايات التي ينقلها علماء الشيعة تفيد ان الامام رد على المأمون: "اما ان تكون صاحب حق في هذه الخلافة، واما ان لا تكون ...

بالامام الرضا (ع)؟ أم انه بقي على عقيدته المجوسية السابقة وأراد بهذه الطريقة ان يسحب الخلافة مؤقتاً من العباسيين؟ أو انه كان يريد في الواقع ان يتلاعب بأساس الخلافة الاسلامية؟

وعلى هذا الفرض لو كان قدر لخطة الفضل ان تنجح، لكان خطرهما على الاسلام أشد من خطر خلافة المأمون، لأن الاخير مهما يكن من امر فهو خليفة مسلم، ولكن الفضل بن سهل وجماعته ربما كانوا يريدون ان يقتطعوا ايران من دنيا الاسلام ليعيدوها للمجوسية.

ان النظام الحاكم عندما يجد معارضاً خطراً له، فإن احدي الطرق لتجريدته من سلاحه هو اعطاؤه منصباً في هذا النظام. وكان المأمون يهدف أيضاً الى تشويه سمعة الامام الرضا (ع) امام اولئك الذين يعتقدون ان الخلافة حق لآل علي (ع)، وانهم اذا استلموا الخلافة فإن الدنيا سوف تصبح جنة، وتسود العدالة في العالم.

« رأي جرجي زيدان :

جرجي زيدان من الذين يعتقدون ان هذه المسألة كانت من ابتكار الفضل بن سهل، وانه كان شيعياً مؤيداً للامام، ولكن هذا الرأي لا يتفق مع التواريخ الموثوقة. ولو كان الفضل مخلصاً حقاً، وكان يريد للتشيع ان ينتصر ويحكم، لم يكن رد فعل الامام الرضا (ع) بتلك الصورة السلبية. بل ان كثير من الروايات والتواريخ الشيعية تؤكد ان الامام الرضا (ع) كان يخالف الفضل بن سهل بأشد مما كان يخالف المأمون نفسه. وكان (ع) يعتبره خطراً كبيراً على الاسلام، وقد حذر المأمون منه ومن اخيه. كما تؤكد هذه التواريخ ان الفضل بن سهل كان كثير السعاية ضد الامام الرضا (ع).

والواقع ان الباحث يصعب عليه من الناحية التاريخية ان يصل الى نتيجة قاطعة بالنسبة الى المأمون في هذه المسألة.. هل كانت من ابتكاره؟ أم

٢- اخماد ثورات العلويين

يذكر البعض علة اخرى لهذه السياسة، وهي ان المأمون قد رأى ان العلويين اصبحوا يشكلون خطراً جدياً ضد نظام حكمه، لان ثوراتهم كثرت واشتد نشاطهم في عهده. ولهذا فان دافع المأمون في اسناد ولاية العهد الى الامام الرضا (ع) هو محاولة لارضاء العلويين وتهديتهم، وسحب مبررات الثورة والتمرد من ايديهم. وتأييداً لهذه النظرية فإنه قام فعلاً بإصدار العفو العام عن جميع العلويين، رغم انهم ارتكبوا في نظره جرائم لا تغتفر.

٣- تجريد الامام الرضا (ع) من سلاحه :

وهذا المعنى وارد في رواياتنا، ذلك ان الامام الرضا (ع) قال يوماً للمأمون ما مضمونه: هذا هو هدفك، فأنت تريد ان تفسد علي امري { قال الرضا (ع) للمأمون: تريد بتولييتي العهد " ان يقول الناس: ان علي بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟! "

وهذا شيء طبيعي فان النظام الحاكم عندما يجد معارضاً خطراً له، فإن احدي الطرق لتجريدته من سلاحه هو اعطاؤه منصباً في هذا النظام. وكان المأمون يهدف أيضاً الى تشويه سمعة الامام الرضا (ع) امام اولئك الذين يعتقدون ان الخلافة حق لآل علي (ع)، وانهم اذا استلموا الخلافة فإن الدنيا سوف تصبح جنة، وتسود العدالة في العالم. فعندما يقوم بهذه الخطة (تسليم سلطة صورية للامام) فإن الناس سوف يشعرون بخيبة امل عندما يرون ان الاوضاع لم تتغير، ولم تتحسن. وأكثر من ذلك يستطيع ان يتهم آل علي بأنهم عندما يكونون خارج السلطة، فإنهم يتكلمون عن الحق والعدل وما اشبه بذلك. ولكنهم عندما يصلون الى السلطة فإنهم يرضون بالواقع الفاسد وينسون كلامهم الفاسد.

« الاحتمال الثاني::فكرة فضل بن سهل

وهناك احتمال اخر لاصل القضية، وهو ان المأمون اساساً لم يكن له اختيار في هذه المسألة، بل كانت من ابتكار الفضل بن سهل ذي الرياستين، وزير المأمون، حيث جاء يوماً وقال للمأمون: إن آباءك قد اسأؤوا التصرف مع آل علي، فعليك الان ان تختار افضل آل علي وهو علي بن موسى، وتسلم اليه ولاية العهد. فاضطر المأمون مكرهاً الى النزول عند رغبة وزيره الذي يمتلك السلطات الحقيقية بيده. وفي هذه الحالة يبرز سؤال وهو: لماذا طرح الفضل هذه المسألة؟ وهل كان شيعياً معتقداً

فإذا كانت هذه الخلافة التي انت متلبس بها شرعية ، فليس من حرك ان تخلع رداءً ألبسك الله إياه . واذا لم تكن صاحب حق فيها ، فكيف تمسح لغيرك شيئاً لا تملكه ؟ " وعند ذلك اضطر المأمون الى استخدام لغة التهديد ، وكان مما استدلت به في كلامه ان قال : ولماذا لا تقبل هذا الامر ؟ ألم يشترك جدك علي بن ابي طالب (ع) في شوري الخلافة ؟ يريد بذلك ان يقول : بأن هذا الامر لا يتنافى مع سنة أهل بيتك ، لأن علياً (ع) عندما قبل الاشتراك في مجلس شوري انتخاب الخليفة ، فقد كان هذا يعني انه صرف النظر مؤقتاً عن حقه الشرعي من قبل الله سبحانه ، وسلم امام الاوضاع ، ليرى ماذا يكون موقف الآخرين... هل يسلمون أمر الخلافة اليه ام لا ؟ فإذا لو ان مجلس الشوري سلم الخلافة الى جدك علي لكان قبل ذلك حتماً ، وعلى هذا يتحتم عليك الان بالمثل ان تقبل ما تعرضه عليك . وقد هدد خليفة الوقت - عمر بن الخطاب - بانه ان لم يتوصل اهل الشوري في خلال ثلاثة ايام الى قرار ، او تمرد بعضهم على قرار الاكثريه فإن أبا طلحة الانصاري يكون مأموراً بضرب اعناقهم . فأنت الان في موقف علي بن اب طالب (ع) وانا اليوم في موقف الخليفة وفي موقف عمر ، فإن اتخذت قراراً صارماً بحقك - في حال رفضك - فإني لن اكون ملاماً امام المسلمين ، واخيراً وبعد التهديد بالقتل من جانب المأمون وافق الإمام الرضا (ع) ولكن بشرط ...

٣- شرط الامام الرضا (ع) :

اشترط الإمام الرضا (ع) في مقابل موافقته على قبول منصب ولاية العهد ، أن لا يُطلب منه التدخل في اي شأن من شؤون الحكم والادارة ، وان لا تناط به أية مسؤولية في الدولة . وان لا يُطلب منه التدخل في شؤون الحكم ولا في القضاء ولا في العزل والنصب او اي امر اخر من امور الدولة . وكأتمأ أراد الامام (ع) ان يفهم الناس بذلك ان هذا المنصب صوري لا أكثر ، وانه لم ولن يضع يده في يد المأمون ونظامه .

وكان هدف الامام من وراء هذا الشرط ان يحتفظ بصيغة المعارضة تجاه النظام الحاكم ، وان يفهم الناس وخصوصاً شيعته انه لا يمكن ان يتعاون عملياً مع الظلمة .

ولهذا لم يشارك الامام الرضا (ع) حتى في صلاة العيد ، الى ان حدثت القصة المعروفة ، وهي ان المأمون طلب في احد الاعياد من الامام ان يصلي بالناس لان هؤلاء قد كثر كلامهم وكثرت اتهاماتهم للخليفة ونظام حكمه . فقال الامام : حسناً أقبل . ولكن على شرط ان أؤدي مراسم هذه الصلاة كما كان

يفعل جدي رسول الله (ص) ، لا كما هو المرسوم عنكم ، فوافق المأمون على ذلك .

وما ان خرج الامام من بيته لاداء مراسم صلاة العيد ، حتى قامت ضجة بين الناس ، وأخذ الهياج بين جماهير المسلمين يتصاعد بينما كان الامام يمشي الى مكان الصلاة بهيئة تنم عن الاحتجاج الصارخ على الاوضاع حتى شعر المأمون وزيره الفضل بن سهل بالخطر ، وأصدر الاوامر بإرجاع الامام ، لأنه كاد ان يُحدث بسلوكة وتصرفه ثورة بين جماهير المسلمين ضد المأمون ونظامه المنحرف عن الاسلام .

٤- طريقة تصرف الامام (ع) بعد قبول ولاية العهد :

يقول ابو الفرج : أمر المأمون الناس ان يحضروا لمبايعة الامام الرضا (ع) وتهنئته على منصبه الجديد ، واجلس الامام الرضا (ع) الى جانبه ، وكان يأتي الناس فيبايعونه . وكان الامام (ع) يمد يده للبيعة وهي مقبوضة . وكان الطرف المقابل يضع يده فوقها . فقال له المأمون : ابسط يدك حتى يبايعك الناس

ان الشرع يجيز
للانسان في بعض الاحيان
ان يعمل عملاً يؤدي الى
قتله ، ولكن بشرط ان
يكون التأثير المترتب على قتله
اعظم نفعاً مما هو مترتب على
بقائه حياً . وذلك مثل ما فعل
سيد الشهداء (ع) ، حيث فضل
ان يُقتل على ان يعطي البيعة
ليزيد ، لانه كان يعلم ان في
قتله فائدتين عظيمتين لم تكونا
تتحققان لو انه فضل البقاء حياً

فقال الامام الرضا (ع) : كلا فقد كان جدي رسول الله (ص) يفعل هكذا (ربما كانت هذه الطريقة التي اتبعها الامام تعني ان هذه البيعة باطلة من الناحية الشرعية ولا يترتب عليها اي أثر).

وبعد ذلك قام الشعراء والخطباء المواليون للنظام وألقوا خطب الثناء وقصائد المدح في حق المأمون والامام الرضا (ع) . ثم قال المأمون للامام اخطب في الناس . وكان المأمون يتوقع من الامام ان يقدم اليه

آيات الشكر والتقدير وان يمدحه ويمدح نظامه ، ولكن الامام قام فقال بعد حمد الله والثناء عليه : " ان لنا عليكم حقاً برسول الله (ص) ، ولكم علينا حق به ، فإذا ادبتم علينا ذلك ، وجب علينا الحق لكم " ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس . لم يكن في كلامه اي اشارة الى ما كان يريد المأمون ، فكان في ذلك خيبة امل له ، وفضح مبطن لخطته وتدبيره من بداية هذا الامر .

« رد لاحتمالات المختلفة :

رد احتمالية انها فكرة المأمون:

هناك افتراض ، وهو ان هذه المسألة كانت من ابتكار المأمون نفسه ، والسؤال هنا : لماذا فعل المأمون ذلك ؟ وهل كانت نيته حسنة ام سيئة ؟ واذا كانت نيته حسنة فهل بقي على نيته تلك الى النهاية ؟ ام انه غير موقفه بعد ذلك ؟

بالطبع ان مقولة ان المأمون بقي على حسن نيته الى النهاية غير مقبولة ابداً ، واقصى ما يمكن قوله هو ان نيته كانت حسنة في البداية فقط مثل رأي الشيخ الصدوق ، وان فعله كان بسنن النذر ، ويكون سبب امتناع الامام الرضا (ع) عن قبول ولاية العهد في هذه الحالة هو علمه بان المأمون كان واقعاً تحت تأثير عواطف آنية ومؤقتة ، وانه حتماً سوف يغير موقفه بعد ذلك بسبب طبيعة حب السلطة المتأصل فيه . ولا يوافق كثير من العلماء على رأي الشيخ الصدوق هذا بل يعتقدون ان المأمون لم يكن عنده حسن نية منذ البداية ، وإنما كان وراء عمله اهداف سياسية ونوايا مغرضة . فمادام كانت هذه الاهداف والنوايا ؟ وهل كان يريد بهذه الوسيلة ان يخمد ثورات العلويين . ام كان يريد ان يشوه سمعة الامام ؟.

« رد احتمالية الفضل بن سهل :

يقول البعض من امثال " جرجي زيدان وادوارد براون " ان الفضل بن سعد كان شيعياً مخلصاً ، وكانت عنده رغبة جادة في ان ينقل الخلافة الى البيت العلوي . فلو كان هذا الكلام صحيحاً لكان على الامام الرضا (ع) ان يتعاون معه لاجل انتقال الخلافة الى اصحابها الشرعيين ، ولم يكن له (ع) ان لا يقبل بولاية العهد الا بعد ان يُهدد بالقتل ، اضافة الى ذلك الى انه اشترط ان يكون المنصب صورياً .

ولكن هذا الافتراض غير صحيح ، لا يمكن القول بان الفضل بن سهل كان شيعياً حقاً وانه تصرف مع الامام بروح من الاخلاص والمحبة .

واذا سلمنا جدلاً بصحة هذا الافتراض ، فإن اوضاع الدولة الاسلامية بشكل عام لم تكن لتساعد على

يتطلب الامر ان اضحي بحياتي وبكامل ارادتي ام لا ؟ ان الامام الرضا (ع) كان مخيراً بين امرين : اما ان يقبل ولاية العهد المأمون الصورية ، واما ان يقتل بالسيف . ولما رأى (ع) ان قتله لن يعود بفائدة هامة على الاسلام ، فضل الخيار الاخر والذي كانت له بالفعل آثار اكثر اهمية ونفعاً .
والدين الاسلامي لا يعتبر التعاون مع الظالم ذنباً في كل الحالات ، بل ان هناك بعض الاستثناءات التي تلاحظ الظروف المختلفة وتلاحظ ايضا نوع التعاون واهدافه .

« التعاون مع خلفاء الجور في رأي الائمة (ع) : مع كل تلك الشديدة التي كان ائمتنا الاطهار (ع) يتمتع بها تجاه الخلفاء



مع المأمون ، مع ملاحظه انه اكتفى بالحد الادنى من هذا التعاون .
والاشكال الاكبر الذي يواجهنا في هذه القضية ، هو افتراض ان هذا الابتكار كان من قبل المأمون نفسه . فهنا ربما يعترض البعض ويقولون : ان المأمون عندما دعا الامام الرضا (ع) للتعاون معه وكان يبيت سوء النية فقد كان على الامام الرضا ان يقاوم امام التهديد ، وان يفضل القتل على القبول حتى بالولاية الصورية لعهد المأمون .
وهنا ينبغي علينا ان نسال عن الحكم الشرعي في مثل هذه المسألة ؟

ان الشرع يجيز للانسان في بعض الاحيان ان يعمل عملاً يؤدي الى قتله ، ولكن بشرط ان يكون التأثير المترتب على قتله اعظم نفعاً مما هو مترتب على بقاءه حياً . وذلك مثل ما فعل سيد الشهداء (ع) ، حيث فضل ان يقتل على ان يعطي البيعة ليزيد ، لانه كان يعلم ان في قتله فائدتين عظيمتين لم تكونا تتحققان لو انه فضل البقاء حياً :

الاولى : عدم اعطاء شرعية لحكومة يزيد الذي كان ينوي محو الاسلام من الاساس .
الثانية: هي احداث هزة عنيفة في عقول وضمائر المسلمين الذين كانوا يعيشون حالة من سبات العقل وتخدير الشعور وسلب الارادة .
ولكن هل كانت ظروف الامام الرضا (ع) مشابهة لظروف الامام الحسين (ع) ؟ اي هل كان الامام الرضا (ع) يقف على مفترق طريقين كما وقف جده الامام الحسين (ع) بحيث كان يتوجب عليه ان يسلم نفسه الى القتل باختياره وبارادته ؟

طبعاً لا وجه للقول هنا ماذا كانت الفائدة من مهادنة الامام (ع) للمأمون ؟ أم يقيم المأمون بعد فترة من الزمن بدس السم له وازهاق روحه ؟ فلماذا لم يفضل الامام منذ البداية ان يقتل بالسيف ؟
ولرد مثل هذه التساؤلات اضرب المثال التالي :

اذا كنت على يقين بانني سوف اموت اليوم عند الغروب . ولكنني مخير الان بين امرين ... اما ان أقتل ، واما ان اعمل العمل الفلاني . هنا لايجوز لي ان اقول بانه لا قيمة لبضع ساعات بقيت من عمري . كلا ، بل يجب ان افكر بانه في هذا المقدر المتبقي من عمري هل

استتباب امر الخلافة للامام الرضا (ع) بعد ذلك . كانت بغداد ستثور في وجه الامام الرضا (ع) وتتبعها في ذلك مناطق اخرى .ومن خلال هذا التحليل يتبين أحد اسباب رفض الامام الرضا (ع) لمسألة ولاية العهد هذه .

ثم ان كون هذه المسألة من ابتكار الفضل بن سهل محل تشكيك وتردد ، وبفرض انه صاحب هذا الابتكار ، فمن المشكوك فيه جداً انه كان يمتلك عواطف وميولاً تشيعية . والاحتمال الاكبر بالنسبة للفضل بن سهل انه اساساً لم يكن صادقاً في اسلامه . وكان يريد بهذه الخطة ان يرجع ايران الى عهد ما قبل الاسلام . فقد كان يعلم جيداً ان الايرانيين يعتقدون بالاسلام ، ويعارضون اية محاولة مكشوفة تستهدف خليفتهم الذي هو كما يفترض رمز دينهم ، ففكر ان ينفذ خطته على مرحلتين :

المرحلة الاولى : ان ياتي برجل محبوب ومقدر عند الايرانيين كالامام الرضا (ع) ، فينصبه ولياً للعهد ، وبذلك يزيح المأمون تدريجياً عن السلطة .
ثم بعد ذلك يتفرغ للحاكم الجديد ، فيسلط عليه الصعوبات من الخارج عن طريق معارضة بني العباس في بغداد ، ومن الداخل عن طريق اثارة الاضطرابات والقتال ، فتهيأ بذلك الارضية من اجل إخراج ايران من دائرة الخلافة الاسلامية وارجاعها الى عهد الزرادشتية .

واذا كان هذا الاحتمال صحيحاً ، إذن كان على الامام الرضا (ع) ان يتعاون مع المأمون من اجل مواجهة خطر أعظم ، وهو خطر الفضل بن سهل الذي يعتبر ادهى على الاسلام من خطر المأمون ، ذلك ان الاخير مهما يكن من امره فهو خليفة مسلم ، وليست عنده نية لمحو الاسلام والقضاء عليه .

« موقف الامام من الافتراضات المختلفة :

في احد هذه الافتراضات ، وهو ان الفضل بن سهل كان شيعياً مخلصاً ، كانت وظيفة الامام هي التعاون الايجابي ، وعلى هذا فليس هناك اعتراض على قبوله لولاية العهد ، واذا كان هناك ثمة اعتراض فهو : لماذا لم يقبل ذلك بصورة جدية ؟

فطرد الامام للفضل بن سهل وعدم قبوله واستعداده للتعاون معه يدل على ان هذا الافتراض كان خطأ من الاساس .

ولكن اذا كان الافتراض بأن المسألة كانت من ابتكار الفضل بن سهل ، وكان هذا بقصد التآمر ضد الاسلام ، فإن عمل الامام الرضا (ع) كان صحيحاً مائة بالمائة . حيث قارن (ع) بين هذين الشرين (شر الفضل وشر المأمون) فاختر اهوניהما وهو التعاون

الزمينين ، وكانوا يمنعون شيعتهم من التعاون معهم ، وقصة صفوان الجمال مثال على ذلك ، فقد كانوا في موارد خاصة يشجعون بعض الافراد على التعاون مع الحكام الظالمين من اجل الوصول الى بعض الاهداف المشروعة . وهكذا فإن فقهاء بالاستناد الى سيرة الائمة (ع) - والى القرآن ايضا - يجيز للانسان المؤمن بل يوجب عليه احيانا ، اذا اجتمعت فيه شرائط معينة ، ان يشغل منصباً في الجهاز الحاكم الظالم ، وذلك بهدف التقليل من المظالم والمفاسد ، او تقديم خدمات للمؤمنين .

« استدلال الامام الرضا (ع) :

احتج البعض على الامام الرضا (ع) في زمانه وقالوا له (بعد ان اصبح ولياً لعهد المأمون) : لماذا يرد اسمك مع اسماء هؤلاء ؟ فقال (ع) : أيهما اعلى مقام الانبياء أم مقام الاوصياء ؟ قالوا مقام الانبياء ، فقال : أيهما أسوأ ... الملك المشرك الكافر ، أم الملك المسلم الفاسق ؟ قالوا : الملك المشرك الكافر . فقال : أيهما أشد مؤاخذاً . من يطلب التعاون بنفسه مع الحاكم الظالم أم من يُفرض عليه ذلك فرضاً ؟ قالوا : من يطلب التعاون بنفسه .

فقال يوسف الصديق كان نبياً ، وانا وصي نبي . وعزيز مصر كان ملكاً مشركاً كافراً والمأمون ملك مسلم فاسق . ولقد طلب يوسف (ع) بنفسه من الملك فقال : { اجعلني على خزائن الارض ، إني حفيظ عليم } . وانا أُجبرت على قبول ولاية العهد .

ها هو سلام الله عليه يقول للريان بن الصلت : " قد علم الله كراهتي لذلك فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل ، اخترت القبول على القتل ، ويحهم اما علموا ان يوسف (ع) كان نبياً رسولاً ، فلما دفعته الضرورة الى تولي خزائن العزيز قال له : " اجعلني على خزائن الارض ، اني حفيظ عليم " ، ودفعتنى الضرورة الى قبول ذلك على اكره واجبار ، بعد الاشراف على الهلاك ، على اني ما دخلت في هذا الامر ، الا دخول خارج منه ، فالى الله المشتكى وهو المستعان ...) البحار : ج ٤٩ ص ١٣٠ - عيون اخبار الرضا (ع) : ج ٢ ص ١٣٩ - امالي الصدوق : ص ٧٢ - علل الشرائع : ج ٢ ص ٢٢٧)

وهكذا اثبت لهم الامام الرضا (ع) بان التعاون مع الحاكم الظالم لا ينبغي ان يُحكّم عليه من خلال النظر السطحية .

والامام موسى الكاظم (ع) الذي منع صفوان الجمال من اكره جماله لهارون الرشيد ، هو نفسه الذي شجع (علي بن يقطين) على البقاء في جهاز حكم هارون وكنمان تشييعه ، واستعمال التقية مع

« رد مع اقتباس

١. ولاية الجائر

لدينا مسالة في الفقه بعنوان (ولاية الجائر) اي قبول منصب من طرف الحاكم الظالم . وقد قرر الفقهاء بأن هذا العمل الذي هو حرام بحد ذاته ، مستحب في بعض الموارد ، بل يكتسب صفة الوجوب في موارد اخرى . فقالوا :

اذا توقف التمكن من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على قبول منصب من طرف الحاكم الظالم ، فإن قبول هذا المنصب واجب .

وهذا هو المنطق السليم ، لأن الانسان في هذه الحالة اذا تقبل مثل هذا المنصب ، فإنه يستطيع ان يعمل ليقوي نفسه وجماعته مقابل اضعاف اعدائه وعرقلة اعمالهم .

وانا لا اتصور ان اهل المسالك الاخرى من ماديين وشيعيين وغيرهم ، ينكرون هذا الشيء ، فيأمرون اتباعهم برفض كل منصب يقدم اليهم من طرف عدوهم بل يقولون لهم : إقبلوا ذلك ، ولكن اعملوا على طريقتكم ومن اجل اهدافكم .

ونحن نرى الامام الرضا (ع) عندما قبل منصب ولاية العهد ، فإنه لم يحصل بذلك اي نفع للخليفة المأمون ولا لنظامه ، بل كانت المصلحة في جانب الامام الرضا (ع) نفسه ، فبالإضافة الى ان هذا العمل ادى الى تشخيص العدو من الصديق بصورة اوضح ، فقد استطاع الامام بصورة غير مباشرة ان بثت شخصيته العلمية من خلال هذا المنصب . ولم يكن ذلك ممكناً في اي وقت اخر من عمر الامام .

فمن بين جميع أئمتنا الاطهار (ع) لم تثبت الشخصية العلمية لأحد منهم بقدر ما تثبت لأمر المؤمنين والامام الصادق والامام الرضا (ع) .

الامام الرضا (ع) استطاع ان يؤكد شخصيته العلمية من خلال تلك الفترة القصيرة التي بقيها في ولاية العهد ، وساعده في ذلك حب المأمون للعلم والمباحثات العلمية . فكان هذا الخليفة يقوم بعقد تلك الجلسات العجيبة (المثبتة في كتب الاحتجاجات) والتي كان يجمع فيها كل أصناف العلماء والمفكرين من ماديين ومسيحيين ويهود ومجوس وصابئة وبوديين وغيرهم ، ثم يدعو الامام الرضا (ع) ليتباحث معهم في حضوره . فكانت هذه الجلسات فرصة ذهبية استغلها الامام ليعرض من خلالها الفكر الاسلامي وينشر العلم الصحيح وكذلك ليحدث جميع الافكار الباطلة ويثبت خواء جميع التيارات المخالفة للاسلام .

الامام الرضا (ع) استطاع ان يؤكد شخصيته العلمية من خلال تلك الفترة القصيرة التي بقيها في ولاية العهد ، وساعده في ذلك حب المأمون للعلم والمباحثات العلمية . فكان هذا الخليفة يقوم بعقد تلك الجلسات العجيبة (المثبتة في كتب الاحتجاجات) والتي كان يجمع فيها كل أصناف العلماء والمفكرين من ماديين ومسيحيين ويهود ومجوس وصابئة وبوديين وغيرهم ، ثم يدعو الامام الرضا (ع) ليتباحث معهم في حضوره

القوم فيتوضأ كما يتوضؤون ، يصلي كما يصلون ، وطبأته بان وضوءه وصلاته وسائر عباداته التي يؤديها بهذه الصورة صحيحة ، وفعل استطلاع ابن يقطين ان يقدم بهذه الطريقة خدمات كثيرة للامامة وللمسلمين ، دون ان يشعر الخليفة واعوانه بذلك . وهذا هو الشيء الذي يُجزيه العقل والمنطق . وتجزيه جميع المذاهب ايضاً ، فوجود الانسان ضمن نظام ظالم بحيث تكون قواه في خدمة ذلك النظام شيء ، ووجوده بحيث يستفيد من قوى هذا النظام لكي يصل الى اهدافه المشروعة شيء آخر . ورفض هذا المنطق لا يعتبر الا نوعاً من انواع الجمود والتعصب الذي لا مبرر له . وائمتنا (ع) كانوا يمنعون ذلك النوع من التعاون الذي يقوي سلطة الحاكم الظالم فقط ، ولم يكونوا يعطون العذر لاي احد من شيعتهم عندما كان يراجعهم ويقول لهم : اذا لم اعمل مع هؤلاء ولم اقدم لهم الخدمات فإن غيري سوف يقوم بذلك . وكانوا يقولون له : يجب ان تمتنع الجميع عن التعاون معهم ، لكي تشل امورهم وتتوقف اعمالهم . ولكن الائمة (ع) من جهة اخرى كانوا يشجعون الافراد الملتزمين الذين كانوا يستغلون مناصبهم ضمن الانظمة الجائرة استغلالاً نافعا للمسلمين .

فالروايات التي لدينا عن الائمة الاطهار (ع) في مدح اشخاص مثل (علي بن يقطين) ، و (اسماعيل بن بزيع) ، تحير الانسان حقاً ، فهي ترفع امثال هؤلاء الى مرتبة أولياء الله المقربين ، برغم انهم كانوا يحتلون مناصب حساسة في انظمة الخلفاء الجائرين .

بقية حياته، فما رأيتَه جفاً أحداً قط، ولا قطع على أحد حديثه قط، ولا مد رجله بين يدي جليس قط، ولا شتم أحداً، ولا نال أحداً، ولا تفل في وجه أحد، وما رأيتَه رد أحداً في حاجة يقدر عليها أبداً، وما رأيتَه قهقهة وإمها كان ضحكه التبسم، وكان إذا وضع المائدة دعا خدمه وغلماؤه وأجلسهم إلى جانبه وأطعمهم بيديه، فقال له بعض من حضر: يا أبا الحسن، هلا عزلت لهؤلاء السود مائدة لوخدمهم، ونحن لنا مائدة، قال: مه، إن الرب واحد، والأب واحد، والأم واحدة، والجزاء بالأعمال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتُمْ﴾ يتعامل مع غلماؤه بدافع المحبة، بدافع إنساني، لا بدافع وظيفي، فضلا عن الناس الآخرين.

«العنصر الثاني: عنصر الحضور»

كان الإمام الرضا (ع) يؤكد على عنصر الحضور، كتب رسالة إلى ابنه الإمام الجواد (ع) قال فيها: «بني بلغني أن الموالي إذا أخرجوك، خرجوا بك من الباب الصغير، بغيا منهم، كي لا ينال أحد منك شيئا، فبحق عليك، أطلب منك إذا خرجت، أن يكون مخرجك ومدخلك من الباب الكبير، وإذا خرجت حملت معك من الذهب والفضة الكثير، ثم ما سألك أحد شيئا إلا وأعطيته» القائد ليس محتجبا في منزله، القائد ليس بينه وبين الأرضية الشعبية وسائط، القائد ليس الإنسان المنعزل عن المجتمع، والذي لا يدري عن هموم المجتمع وقضاياها، القائد هو الذي يعيش مع المجتمع، مع مأساتهم، مع معاناتهم، مع آمهم، مع أفراحهم، مع أتراحهم، القائد المحنك سواء كان رجل دين، أو وجهها، أو غير ذلك، هو من كان حاضرا بين أمته، ومن كان حاضرا بين أبناء المجتمع حضور تفاعل، وحضور تعاطف، يعيش مأساتهم وآلامهم وهمومهم.

إذن الدور الاجتماعي الذي جسده الإمام الرضا (ع) يرتكز على عنصرين: عنصر الحب، وعنصر الحضور والتفاعل مع قضايا المجتمع وهمومه.

الدور الفكري:

هناك فكرة طرحتها مجموعة من الأعلام الإسلامية، هذه الفكرة تقرر أن التشيع حركة سلبية وليست حركة إيجابية، التشيع منذ أن ولد وهو حركة معارضة، ومواجهة وعنيفة، وليس حركة بناء ولا عطاء، التشيع ولد يوم الحسين (ع) ولد وهو ممزوج بالدم، ولد وهو يعيش حركة العنف، فأصبح التشيع في نظر التاريخ الإسلامي يعتمد على مظهرين:

«مظهر المعارضة العنيفة:

إنك ترى التشيع منذ يوم الحسين، صار مسلسل



الإمام الرضا بين الدور الاجتماعي والفكري

«السيد منير الخباز»

هناك فرق بين من يتعامل مع الناس بدافع الوظيفة، ومن يتعامل معهم بدافع المحبة، من يتعامل مع الناس بدافع الوظيفة، فهو يقتصر على حدود الوظيفة، بمقدار ما يسقط عنه الأمر، أما من يتعامل مع الناس بدافع المحبة، فهو يتفانى ويتحول إلى روح غيرية تخدم المجتمع وتصر على توجيهه وإرشاده وتعليمه بمختلف الوسائل، وهذا ما كان عليه النبي محمد (ص) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لأنه يحبكم ولأنه من أنفسكم لذلك هو حريص عليكم، فهو لا يتعامل معكم بدافع الوظيفة، بل يتعامل معكم بدافع المحبة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

هكذا كان الإمام الرضا (ع) يقول إبراهيم الصولي: صاحبت الرضا من المدينة إلى خراسان، ثم صاحبت

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾
الدور الاجتماعي الذي تجسد في شخصية الإمام الرضا (ع) كان يرتكز على عنصرين:

«العنصر الأول: عنصر الحب»

هناك كثير من القادة والمسؤولين والوجهاء يتعاملون مع المجتمع بدافع الوظيفة، بالأخلاق الحسنة، بالتوجيه والإرشاد والتعليم لأنهم يحبون ذلك، بل لأن ذلك وظيفتهم، ولكن هناك من يتعامل مع الناس لا بدافع الوظيفة، بل بدافع المحبة، لأنه يحب الناس يتعامل معهم بالخلق الحسن، يخلص لهم ويتفانى في توجيههم وتعليمهم، لا لأن التوجيه والتعليم وظيفة، بل لأنه يحب ذلك.

شديدة، ومشى الوليد ابن عبد الملك على مقترح الإمام الباقر(ع) فتحوّلت العملة لدى المسلمين من العملة الرومانية إلى عملة إسلامية.

الإمام الصادق(ع) أشاد في المدينة جامعة علمية، يقول ابن عقدة الزيدي في كتابه: ضمت هذه الجامعة أربعة آلاف طالب، ما كانوا من الشيعة، بل كانوا من المذاهب الإسلامية الأخرى أيضاً، فقد تتلمذ على يديه السكوني والنوفلي وغيث ابن كلوب، وغيرهم من علماء اخواننا أهل السنة، كما أنه تتلمذ على يديه الإمام أبو حنيفة، كما ذكر الجاحظ في كتابه وقال: لولا السنتان لهلك النعمان، وقال الإمام مالك، إمام المذهب المالكي: ما رأيت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر ابن محمد الصادق علما وعبادة وورعا، وتحدث في علوم مختلفة، لم يقتصر على الفقه، ولا على الأصول، بل تحدث في علوم مختلفة، تحدث الإمام الصادق(ع) في علم الطب، فكتب عنه المفضل ابن عمر رسالة في علم الطب، وابنه الإمام الرضا به رسالة في علم الطب تعرف بالرسالة الذهبية، قام بطبعتها وتحقيقتها الدكتور محمد علي البار، الأستاذ في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وتحدث الإمام الصادق في علم الكيمياء، فقد ذكر ابن النديم في الفهرس أنه تتلمذ على يديه جابر ابن حيان رائد علم الكيمياء، وكتب خمسمائة رسالة، افتتح أول رسالة منها بقوله: حدثني سيدي ومولاي جعفر ابن محمد الصادق.

والإمام الرضا(ع) ساهم أيضاً في بناء الحضارة الإسلامية، فهو قبل ولاية العهد من قبل المأمون العباسي، وهناك تفسيران لقبول الإمام الرضا لولاية العهد:

التفسير الأول: أن الإمام الرضا قبل ولاية العهد لأنه أكره على قبولها، فدار الأمر بين أن يقضى على حياته، أو يقبل الولاية، فرجح الأهم على المهم، وقبل ولاية العهد.

التفسير الثاني: الإمام الرضا قبل ولاية العهد، لأن ولاية العهد مفتاح لبناء الحضارة الإسلامية آنذاك، ومفتاحاً لنظرية حوار الأديان، ففي تلك الأزمنة السابقة علماء الأديان والمذاهب لا يجتمعون إلا في قصر الخليفة، الإمام الرضا(ع) رأى أن قبول ولاية العهد يعني إتاحة الفرصة له للقاء بعلماء الأديان، وعلماء المذاهب الأخرى، ولقاؤهم يعني فتح الفرصة لحوارهم وطرح المذهب الحق، والرأي الحق، وإثباته بالأدلة والبراهين الناصعة القاطعة، فقبل ولاية العهد، وفعلاً فتح له المجال، فكان يجلس كل اثنين، وكل خميس يلتقي بعلماء الأديان، وعلماء



أن هذا التصور الذي يقرر أن التشيع لم يساهم في بناء الحضارة الإسلامية، ولم يشارك في العطاء في الحضارة الإسلامية، وهذا تصور مخالف ومجانِب للحقيقة التاريخية، الأمة من أهل البيت(ع) ساهموا في بناء الدولة الإسلامية، وساهموا في بناء أسس الحضارة الإسلامية، الإمام علي(ع) خضع لنظيره ومشورته كثير من الفتوحات الإسلامية، فتح العراق، وفلسطين، خضع لمشورة الإمام علي(ع) وكان الخليفة الثاني يقول: لولا علي لهلك عمر، ولا أبقاني الله لمعضلة لم يكن فيها أبو الحسن(ع).

الإمام الباقر(ع) ساهم في تغيير العملة الإسلامية في زمان الوليد ابن عبد الملك، جاء أحد العلماء إلى الوليد ابن عبد الملك قال: أتدري ما هو مكتوب على هذه العملة؟ قال: لا، قال: مكتوب عليها الثالث، الله والمسيح ومريم، وأتتم المسلمون تتعاملون بها من دون التفات ولا دراية، الوليد ابن عبد الملك جمع الفقهاء آنذاك وطلب منهم المشورة، فاختلقت آراؤهم، فقال له بعضهم: ما عليك غضاضة أن تطلب محمد ابن علي ابن الحسين، فطلب الإمام الباقر(ع)، ومع أن الإمام الباقر يعتبر أن هذه السلطة غير شرعية - سلطة الوليد - لكنه يبادر لبناء الحضارة الإسلامية، جاء من المدينة إلى دمشق، دخل على الوليد ابن عبد الملك، وعرض عليه الوليد ابن عبد الملك الأمر، فأشار عليه الإمام الباقر(ع) قال له: اصنع عملة يكتب على وجه منها لا إله إلا الله، وعلى الوجه الآخر محمد رسول الله، واجعل لها كذا مقدار من الذهب، وكذا مقدارا من الفضة، كي لا تكون معرض للتلاعب ولا للتزوير، وأرسل في جميع الآفاق والأرجاء أن لا يتعامل إلا بهذه العملة، فمن خالف ذلك عوقب عقوبة

من الدماء، والمواجهات العسكرية الدامية، الحسين والمختار وزيد ابن علي والحسين ابن علي صاحب معركة فخ، وهكذا تواصل التشيع حركة من الدماء والعنف، وحركة من المعارضة، ولم يكن حركة متصلة تراعي وحدة الأمة ومصحتها، بل كان دأبها المعارضة والعنف ليس إلا.

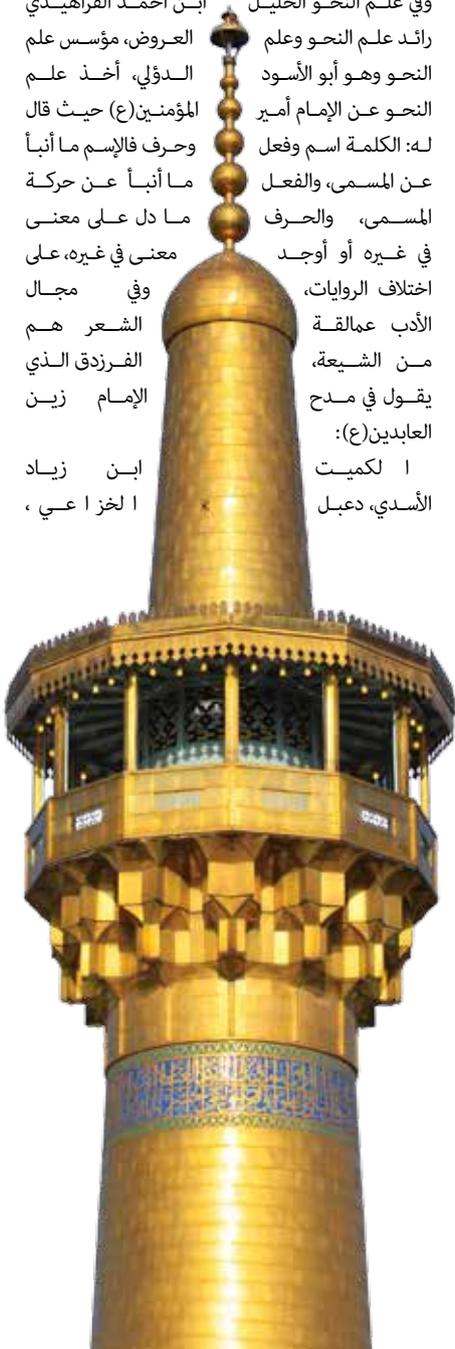
« مظهر العزلة:

أن التشيع كان يعيش عزلة، لأن الإمامية تعتقد أن السلطات الأموية والعباسية سلطات غير شرعية، ولأنها تعتقد أن السلطات غير شرعية فلذلك اعتزلت السلطات ولم تتصل بها، ونتيجة هذا الاعتزال أن التشيع لم يساهم في بناء الحضارة الإسلامية التي قامت على أكتاف الخلفاء الأمويين العباسيين الفاطميين وغيرهم لم يساهم الشيعة فيها بشيء، لأنهم رأوا أن السلطة غير شرعية فاعتزلوها، ونتيجة الاعتزال أنهم لم يساهموا في بناء الحضارة ولم يشاركوا في بناء التاريخ، ولا في العطاء العلمي والحضاري للتاريخ، لذلك لا تجد للشيعة بصمات في الحضارة الإسلامية، إذا تأملت الحضارة الإسلامية في الأندلس، في دمشق، في بغداد، لا تجد للشيعة أي بصمات وأي أثر على هذه الحضارة، لأنهم كانوا حركة معارضة عنيفة، وكانوا يعيشون عزلة عن المساهمة في بناء الحضارة، ولذلك هذا دعا أن يكتب ابن خلدون في مقدمته: وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها، وفقه انفردوا به، اعتبرهم شذاً لأنه لم يجد لهم أثراً في الحضارة الإسلامية آنذاك.

« نسلط الضوء على هذه الفكرة من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول:

بنى أكبر مرصد للحضارة الإسلامية، وهو مرصد مراغة، في علم الكيمياء، رائد علم الكيمياء من الشيعة جابر ابن حيان، يقول البروفيسور محبوب الحسين عميد الجامعة العالمية بجنوب افريقيا: أول من فتح علم التجربة، هو جابر ابن حيان، قبل بـ ٨٠٠ سنة، جابر ابن حيان كان رائدا في علم التجربة، وفي علم الجغرافيا أحمد اليعقوبي، وفي علم التاريخ المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب، وفي علم النحو الخليل ابن أحمد الفراهيدي رائد علم النحو وعلم العروض، مؤسس علم النحو وهو أبو الأسود الدؤلي، أخذ علم النحو عن الإمام أمير المؤمنين (ع) حيث قال له: الكلمة اسم وفعل عن المسمى، والحرف المسمى، والحرف في غيره أو أوجد في غيره، على اختلاف الروايات، وفي مجال الأدب عمالقة من الشيعة، يقول في مدح العابدین (ع): ابن زياد الخزازي،



وقصر وجدار وأطلال، فمن ليس له بصمات على هذه المباني، فليس له مساهمة في الحضارة الإسلامية. فليس المقياس هو المظاهر المادية، بل إنها نتاج للحضارة، وليست هي الحضارة، المظاهر المادية، العمارات، الجسور، والقصور، هذا نتاج ومظهر للحضارة، وليس هو الحضارة، بل الحضارة في الفكر وفي الثقافة، هذه القصور والجسور، نتاج الثقافة والفكر، فالحضارة هي الفكر، وليست الحضارة هي المظاهر المادية، إذا أردت أن تعرف هل أن للشيعة أثرا في الحضارة الإسلامية، فاقراً الفكر الإسلامي، فإذا لم تجد لهم أثرا في الفكر الإسلامي، وفي الثقافة الإسلامية، فعندئذ يصح أن تقول: كان التشيع حركة معارضة، ولم يكن حركة بناء، لأنه لا أثر لهم في الفكر الإسلامي، أم إذا كانت آثارهم ناصعة، واضحة، على الفكر الإسلامي، فلا مجال لأن يعزلوا عن التاريخ الإسلامي مجرد أنهم لم يساهموا في البناء.

هل للشيعة أثرا في بناء الفكر الإسلامي أم لا؟ على مستوى علم الكلام الشيعة بارزون، أبو حسن النوبختي في كتاب الإصناف في الإمامة، نصير الدين الطوسي صاحب كتاب تجريد الاعتقاد، وعلى مستوى الفلسفة، رواد الفلسفة من الشيعة، وما زالوا هم رواد الفلسفة الإسلامية، ابن سينا صاحب كتاب الشفاء، القطب الراوندي صاحب كتاب شرح المطالع، صدر المتألهين الشيرازي صاحب كتاب الأسفار الأربعة، السيد صاحب الميزان، صاحب كتاب أسس الفلسفة، صاحب كتاب بداية الحكمة، ونهاية الحكمة، الشهيد المطهري، السيد الشهيد الصدر قدس سره صاحب كتاب فلسفتنا، على مستوى علم الفلك، نصير الدين الطوسي كان فلكيا مشهورا، وهو الذي

المذاهب فيحاولوهم ويناقشهم إلى أن يثبت لهم أن الفكر العلوي المحمدي هو الفكر الصائب، في كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي تجد أن أكثر إمام تصدى للمناقشات هو الإمام الرضا، أكثر إمام وردت عنه مناقشات وحوارات واحتجاجات ومناظرات مع علماء الأديان، وعلماء المذاهب الأخرى الإمام الرضا (ع).

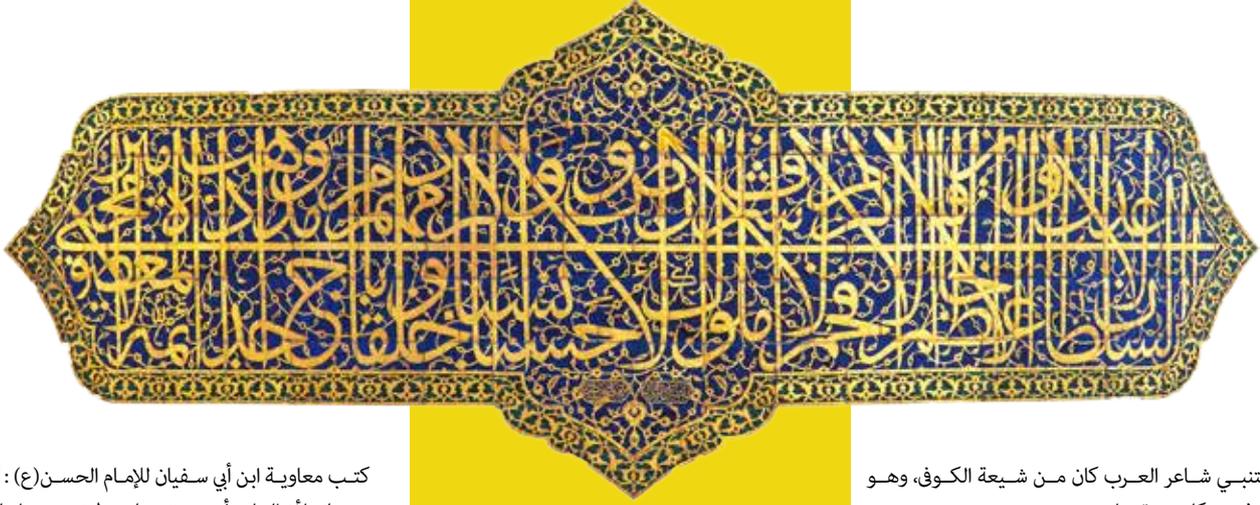
إذن الإمام الرضا رأى أن قبول ولاية العهد مفتاح للمساهمة في بناء الحضارة الإسلامية، مفتاح لإثراء الحوار بين الأديان والمذاهب، مفتاح وباب لإثبات صحة الفكر والمعتقد الذي يتبناه، وهذا ما حصل، بعضهم سأل الإمام الرضا (ع) قال له: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ من هم الراسخون في العلم؟ فقال: الله بينهم في كتابه، فقال: كيف؟ قال: الله تعالى قال في آية أخرى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكُونٌ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ المس يعني النيل، كما قال الله تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿ إِنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ مسني بمعنى نالني، وليس بمعنى لامسني، ليس المراد بالمس هو الملامسة، بل المراد هو النيل ﴿ لَا يَمَسُّهُ ﴾ أي لا يفهمه ولا يدركه على حقيقته إلا المطهرون، بينت آية أخرى معنى المطهرون ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ وجاءت آية ثالثة تبين لنا المطهرين ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فعلمنا أن المطهرين هم أهل البيت (ع) ومن هم أهل البيت؟ تقول أم المؤمنين عائشة كما في صحيح مسلم: جمع رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وأسدل الكساء، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، وحامتي ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

إذن بهذا الوجه تبين أن الأمة ساهموا في بناء الحضارة، ولم تكن وظيفتهم مجرد معارضة، وعنق ومواجهة، من دون مواصلة وعطاء وإنتاج، بل ساهموا وشاركوا في بناء الحضارة الإسلامية.

الوجه الثاني:

ليس المقياس في الحضارة هو المظاهر المادية، مع الأسف أن الكثير من الأعلام تظن أن المقياس في الحضارة هو المظاهر المادية، أن الحضارة عبارة عن قصر وجسر وبنيان، بعضهم يتوهم أن الميزان والمقياس في الحضارة هو المظاهر المادية، لأن الشيعة ليس لهم بصمات في قصور الأندلس، ولا في جسور بغداد، ولا في قصور دمشق، إذن ليس لهم مساهمة في الحضارة الإسلامية، وكأن الحضارة الإسلامية جسر

الإمام الرضا رأى
أن قبول ولاية العهد
مفتاح للمساهمة في
بناء الحضارة الإسلامية،
مفتاح لإثراء الحوار بين الأديان
والمذاهب، مفتاح وباب لإثبات
صحة الفكر والمعتقد الذي يتبناه،
وهذا ما حصل،



كتب معاوية ابن أبي سفيان للإمام الحسن (ع) : أنا خير منك، لأن الناس أجمعت علي، ولم تجمع عليك، فكتب الإمام الحسن إليه: «إن الذين أجمعوا عليك بين مكروه ومطيع، فأما المكروه فمعدور في كتاب الله، وأما المطيع فهو عاص لله، وأنا لا أقول أنا خير منك، لأنه لا خير فيك، فلقد برأني الله من الرذائل، كما برأك من الفضائل».

المنصور العباسي كتب إلى الإمام الصادق (ع) : لما لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ فكتب إليه الإمام الصادق: «ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه، وليس لك من الآخرة ما نرجوه منك» فكتب إليه المنصور: تصحبنا لتصحنا، فرد عليه الإمام الصادق (ع) : «إن من يريد الدنيا لا ينصحك، ومن يريد الآخرة لا يصحبك».

المأمون العباسي كتب إلى الإمام الرضا (ع) : إني تأملت في أمر هذه الأمة، فرأيت أن الخير في أن أعرض الخلافة عليك فتأخذ بها، فكتب إليه الإمام الرضا: «إن كانت الخلافة لك، فلا يجوز لك أن تنزع ثوبا ألبسك الله إياه وتعطيه لغيرك، وإن لم تكن الخلافة لك فلا يجوز لك أن تعطي غيرك ما ليس لك» فالمأمون حينئذ لجأ إلى لغة التهديد والقوة.

إذن لا قدح في أن يكون مذهب التشيع حركة معارضة، لأن حركة المعارضة السلمية حركة تصحيحية تطويرية، وهذا ما ركز عليه أئمة أهل البيت (ع) عندما أكدوا على حركة الحسين (ع) الأئمة من الإمام زين العابدين إلى الإمام العسكري يركزون دائماً على مآثم الحسين، زيارته، البكاء عليه، التفاعل مع قضيته، يريدون أن يشبعوا فكر الأمة بأن الحسين منار للمعارضة، ومنار للإصلاح والتوجيه «ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

المصدر: موقع المنير

التشيع كان حركة معارضة، وكل أمة لا يمكن أن تتطور بدون حركة معارضة، كل مجتمع لا يمكن أن يقفز إلى عالم التطور إذا لم يكن فيه حركة معارضة، لأن حركة المعارضة دورها الرقابة والإشراف على مسيرة الأمة، وتبنيها على ثغراتها ومواطن الخلل والخطأ في مسيرتها.

الإمام علي بالقتال، حروب الإمام علي فرضت عليه لا أنه خطط لها، ولا أنه بدأها، حركة علي كانت حركة سلمية، ولم تكن حركة عنف.

ولو أن يزيد ابن معاوية لم يحصر الحسين (ع) في هذه الزاوية، إما البيعة أو القتل لما اتخذ الحسين المسار العسكري أبداً، لو أن يزيد ابن معاوية ترك الحسين وشأنه، ولم يفرض عليه البيعة، لكانت حركة الحسين حركة إصلاحية، سلمية، حتى يوم عاشوراء ما بدأ الحسين بالقتال، وإنما فرض عليه القتال، لأنه يريد أن يشعر الأمة أن حركته حركة إصلاحية سلمية، وليست حركة عنف، وليست حركة تجر الأمة إلى مسلسل الدماء، وهذا ما جرى عليه الأئمة من بعده، حتى قال الإمام الصادق (ع) : «التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له» ومن أوضح مصاديق التقية هي المعارضة السلمية، كانت معارضة أهل البيت معارضة سلمية.

المتنبي شاعر العرب كان من شيعة الكوفي، وهو الذي كان يقول:

الشريف الرضي وهو من فحول الشعراء، أبو نواس الذي كان معروفًا بشعره وبغزله، كان من شيعة أهل البيت، رأى الإمام الرضا على بغلته، فقال: إذن بصمات التشيع على الفكر الإسلامي، والحضارة الإسلامية واضحة وبارزة، وبالتالي فالتشيع حركة عطاء وبناء، لا حركة مقاطعة ومواجهة فقط، بل حركة تبني وتدعم الأسس للحضارة الفكرية الثقافية الإسلامية.

الوجه الثالث: التشيع كان حركة معارضة، وكل أمة لا يمكن أن تتطور بدون حركة معارضة، كل مجتمع لا يمكن أن يقفز إلى عالم التطور إذا لم يكن فيه حركة معارضة، لأن حركة المعارضة دورها الرقابة والإشراف على مسيرة الأمة، وتبنيها على ثغراتها ومواطن الخلل والخطأ في مسيرتها.

وجود حركة المعارضة هدف قرآني نطق به القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ إذن فحركة المعارضة هدف قرآني، وهدف إنساني، لأن وجودها ينبه الأمة على أخطائها كي تتلافها، ويكون ذلك باباً لتقدم الأمة ولتطور المجتمع الإسلامي.

لم يكن التشيع حركة عنف أبداً، كان حركة معارضة سلمية، ولم يكن حركة معارضة عنيفة، الإمام علي أمير المؤمنين (ع) يقول: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جور إلا علي خاصة» الإمام علي ما خاض حرباً مع معاوية لولا أن معاوية فرض منطق الحرب، لو أن معاوية من أول يوم سلم بما اجتمع عليه المهاجرون والأنصار، ما واجهه الإمام علي، ولولا أن معاوية هو الذي بدأ بالقتال يوم صفين، ما بدأه

السلطات المتعاقبة طمس أثرها وتشويه فكرتها، من أجل إحلال سلطة مزيفة مكانها، فطوال التاريخ السياسي الإسلامي نجد الحاكم ينصب نفسه إماماً على المسلمين ليجمع بين أثرين عظيمين هما سلطة السياسة وسلطة الدين، وما لقب الخليفة الذي يطلق على كل حاكم إلا مثال عملي لما نقول. بينما الحال أن الامامة منصب الهى لا دخل للعباد فيه. و من هنا تصدى الامام لتبنيان الامر لخواص أصحابه- و اسمه عبد العزيز بن مسلم- لاذاعته بين الناس في بدء مقدمه لمرو في حديث طويل يمكن تقسيمه على نحو الآتي:

أولاً: الاختيار الالهي:

قال الرضا(ع) لما أخبر بكثرة اختلاف الناس بشأن الامامة يا عبد العزيز جهل القوم و خدعوا عن آرائهم، إن الله عزوجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه و آله حتى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، و الحدود و الاحكام، وجميع ما يحتاج اليه الناس كاملاً، فقال عزوجل: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» و أنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره: اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً» و أمر الامامة من تمام الدين و لم يمض (ص) حتى بين لأمته معالم دينهم و أوضح لهم سبيلهم و تركهم على قصد سبيل الحق، و أقام لهم علياً(ع) علماً و إماماً و ما ترك شيئاً يحتاج إليه الامة الا بينه، فمن زعم أن الله عزوجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، و من رد كتاب الله فهو كافر به، هل يعرفون قدر الامامة و محلها من الامة فيجوز فيها اختيارهم، إن الامامة أجل قدرأ و أعظم شأنأ و أعلى مكانأ و أمنع جانبأ و أبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.

ثانياً: اصالة التاريخ:

وسرد الامام الرضا(ع) تاريخ الامامة في سلسلة الانبياء فقال مواصلاً كلامه لما سبق « إن الامامة خص الله عزوجل بها ابراهيم الخليل(ع) بعد النبوة و الخلة مرتبة ثالثة و فضيلة شرفه بها و أشاد بها ذكره، فقال: «إني جاعلك للناس إماماً» فقال الخليل(ع) سروراً بها: «ومن ذريتي» قال الله تبارك و تعالى: «لابننا عهدي الظالمين». فابطلت هذه الآية إمامة كل ظالم الى يوم القيامة و صارت في الصفوة، ثم أكرمته الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة و الطهارة فقال: « و وهبنا له اسحاق و يعقوب نافلة و كلا جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل



الإمامة كما وضحها الإمام الرضا(ع)

عباس علي الفحام

للمأمون وحتى عصر المأمون هو الشعور الحيوي باغتصاب الحكم من القادة الشرعيين لأئمة أهل البيت عليهم السلام فهم الدين جمع الله تعالى لهم القيادة و شرف الامامة. ولذلك كرس الرضا(ع) طاقاته في توضيح مفهوم الامامة و مبيناً مهامها الالهية و وظائفها لخواص أصحابه و لعامة الناس، لأن أكثر ما روي عنه أن هذا المأثور من الحديث الطويل حول موضوع الامامة جرى في يوم جامع للناس هو الجمعة و في مكان عام هو المسجد. و ستقسم الدراسة تبسيطاً للقارئ على مبحثين هما تحديد سمات الامامة و أما الثاني فهو طرائق اثبات الامامة.

المبحث الاول: سمات الامامة

الامامة لطف من الله تعالى بعباده و رحمة، كونها ضمانة لتسديد العباد و استمرار بقائهم في فضاء التوحيد الالهي، فهي الامتداد الحقيقي للنبوة و تختلف عنها باختلاف توزيع الوظائف و المهام، و قد فضل الامام الرضا(ع) الكلام في شأن الامامة لاهميتها الكبرى في قيادة الامة، و لكثرة ما شغلت العلماء و المفكرين في حقيقتها الناصعة التي حاولت

اتسم عصر الامام علي بن موسى الرضا بنوع من الانفتاح على الامم و لاسيما حين اتخذ المأمون بن هارون الرشيد من أخواله في الجانب الشرقي الفارسي سنداً له، لذلك استعان بهم كثيراً في توطيد حكمه و استقراره أولاً في بلاد فارس ثم الانتقال إلى بغداد عاصمة الخلافة و الحكم. و من هنا عمل المأمون أولاً على استقدام الامام علي بن موسى الرضا الى خراسان لاهداف استراتيجية قائمة في جوهرها على خدمة سلطانه و تحييد حركة الرضا بانتزاعه من مجتمعه و زرعه في مجتمع جديد في حسابات خاطئة أثبتتها التاريخ فيما بعد بدليل مانشده اليوم من ذكر عظيم متألق للرضا(ع) و التفاف عجيب لليرانيين و غير اليرانيين في شرق الارض و غربها حول مشهد غريب طوس. على اي حال فان غرابة تولية الرضا(ع) ولاية العهد مرغماً تدل على خطة خفية من المأمون تندرج ضمن هذا الاطار غير المباشر مع ظاهرة أهل البيت و فشل المواجهة المباشرة معهم، غير أن الامام كان على دراية بما يرمي اليه لذلك حين أرغم على ولاية العهد اشترط أن تكون بالاسم فقط و لإمرة له فيها. و يبدو أن الشغل الشاغل لسياسات

الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإن كانوا لنا عابدين». وفي الربط بين العدالة والإمامة إشارة واضحة إلى حقيقة الإمامة في قيادة الأمة وتحمل في طياتها تعريض بالحكام الظالمين.

ثالثاً: اتصال الذرية:

وعرض الإمام في حديثه التواصل الطبيعي الوراثي بين الانبياء وذراريهم المختارين ولاسيما في كلامه عن النبي إبراهيم(ع)، فقال «فلم تنزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي، فقال جل وتعالى «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين» فكانت له خاصة فقلدها(ص) علياً(ع) بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى: «قال الذين أوتوا العلم واليمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث» فهي في ولد علي(ع) خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد(ص) فمن أين يختار هؤلاء الجاهل. وتبدو المفارقة مقصودة في آخر عبارة بين اختيار الله تعالى واختيار العباد ولاسيما أنها وقعت بعد تفصيل الكلام المتقدم عن اتصال ذرية الانبياء في الإمامة وتسديد الله تعالى لهم

رابعاً: التعريف الواسع والوظائف الخاصة:

التحديد والوظيفة:

خص الرضا(ع) الإمامة بتفصيل تعريفي مسهب لتبيان أهميتها ووظائفها في قوله: إن الإمامة هي منزلة الانبياء وارث الاوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول(ص) ومقام أمير المؤمنين(ع) وميراث الحسن والحسين إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الاسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف. الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تالتها الأيدي والابصار. الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى، والمنجي من الردى، الإمام النار على اليفاع، الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك، من



وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني عنه، لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! (١٤)، وغرضه من ذلك نفي اختيار البشر لقصورهم في إدراك المعرفة بهذا المنصب الرباني، وتأكيد اليقين بأن الإمامة من فيوضات الله لبعض عباده لطفاً بالبشر.

احتجاج منطقي:

أردف الرضا(ع) جملة المتكررة بشأن الإمامة بعد ذلك التكرير والتوضيح بجملة استفهامية إنكارية غايتها التنبيه وإيقاظ السامعين من غفلتهم فقال: «

فارقه فهالك، الإمام السحاب الماطر، والغيث الهائل، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والارض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة. الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والاخ الشقيق، والأم البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النأد، الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله. الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب المخصوص بالعلم، المرسوم بالعلم، نظام الدين، وعز المسلمين وغيظ المنافقين. وقد تكرر لفظ (الإمامة والامام) في ثلاثة عشر موضعاً في النص تكراراً يوحي بأهمية الموضوع وخطورته، وجوب تبيانه مفصلاً بصور مختلفة ومن زوايا مضيئة متعددة من معانيه، فهذا الاسهاب في تعدد صور الإمامة جاء لتوضيح خصائصها وتبيين وظائفها الانسانية والاجتماعية والروحانية. علم الامام:

وجعل الرضا(ع) التوصيف الاخير للفظ (الإمام) في عمق العلم وكمال معرفته به فقال «الإمام واحد دهره، لايدانيه أحد، ولايعادله عالم، ولايوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب. فمن الذي يبلغ معرفته الإمام، أو يمكنه اختياره، هيئات هيئات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأبواب، وخسئت العيون وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت العلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير،

الإمامة لطف من
الله تعالى بعباده
ورحمة، كونها ضماناً
لتسديد العباد واستمرار
بقائهم في فضاء التوحيد الالهي،
فهي الامتداد الحقيقي للنبوة
وتختلف عنها باختلاف توزيع
الوظائف والمهام، وقد فضل
الإمام الرضا(ع) الكلام في شأن
الإمامة لأهميتها الكبرى في
قيادة الأمة

المبحث الثاني: إثبات الامامة

إتخذ الإمام الرضا طرائق عدة في إثبات الامامة و توضيح مفهومها للخواص ولعامّة الناس، كالمناظرات العامة، وبعض الوقفات التوضيحية في الكشف عن خبايا سيرة جده أمير المؤمنين (ع) وبعض الاحاديث النبوية الواردة في فضله، ولا ريب في أن كل تلك السبل المنطقية لإثبات الامامة تعني بالضرورة تبعاً لذلك إثبات إمامته هو (ع) و سنقف على ذلك فيما روي عنه في تراجمه:

أولاً: المناظرات:

جرت للرضا (ع) مناظرة طويلة مع مجموعة من أهل العلم من العراق و خراسان في مجلس المأمون العباسي في مرو حول فضل العترة الطاهرة، مجلياً في ذلك عن شبهات نسدها على نحو يسهل على القارئ توضيحها بما يأتي:

التفريق بين العترة و الامامة:

ابتدأ المأمون المناظرة طويلة مستخبراً عن معنى قوله تعالى: « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا». « فقالت العلماء: أراد الله عزوجل بذلك الامة كلها. فقال المأمون: ماتقول، ياأبا الحسن؟ فقال الرضا(ع): لأقول كما قالوا، و لكنني أقول: أراد الله العترة الطاهرة. فقال المأمون: و كيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا(ع): إنه لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله تبارك و تعالى: « فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير» ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب) فصارت الورثة للعترة الطاهرة لا غيرهم. فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا(ع) الذين وصفهم الله في كتابه عزوجل: « إنما يرد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)، و هم الذين قال رسول الله(ص): إني مخلف فيكم الثقيلين، كتاب الله و عترتي أهل بيتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لاتعلموهم فإنهم أعلم منكم» و يكثر في احتجاج الرضا(ع) كما يبدو الاستشهاد بالآيات القرآنية الشريفة، تعريفاً للحجة و تقوية للاستدلال، مستعيناً بالمأثور النبوي الشريف في تبيان الفروق بين المراد.

العترة هم الآل:

ورد الرضا(ع) شبهة لزوم الأل بالامة ففي تكملة الحديث: « قالت العلماء: أخبرنا-ياأبا الحسن- عن

محكماً بين النبوة و الامامة في اشارة الى الحق المضيع في أفضلية أهل البيت في قيادة الأمة كونهم الأمة الشرعيين لهذا الأمة، فقال: إن الانبياء و الأمة صلوات الله عليهم يوفقههم الله و يؤتاهم من مخزون علمه و حكمه مالا يؤتاه غيرهم؛ فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: «أمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون» و قوله تبارك و تعالي: «و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» و قوله في طالوت: إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم و الجسم و الله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم» و قال لنبية(ص): «إنزل عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيماً» و قال في الأمة من أهل بيت نبيه و عترته و ذريته صلوات الله عليهم: « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به و منهم من صد عنه و كفى بجهنم سعيراً» و لا أحسب المجلس الحافل بأهل العلم قد غفل عن مراد الامام الرضا و معرفة مضمونه، فضلاً عن المأمون و هو اللبيب العارف بخبايا الكلام.

سابعاً: ختام بتأكيده البدء:

و مثلما بدأ الامام بذكر الاختيار الالهي بهذا المنصب في صدر كلامه، أثر عليه السلام ختامه بذلك لأهميته فقال: وإن العبد إذا اختاره الله عزوجل لأمر عباد، شرح صدره لذلك، و أودع قلبه ينابيع الحكمة، و ألهمه العلم الهام، فلم يعي بعده بجواب، و لا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد أمن من الخطايا و الزلل و العثار، يخصه الله بذلك ليكون حجة على عباد، و شاهده على خلقه، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم. فهل يقدررون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه، تعدوا- و بيت الله- الحق و نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، و في كتاب الله الهدى و الشفاء، فنبذوه واتبعوا أهواءهم، فذمهم الله و مقتهم و اتعسهم فقال جل و تعالي: «و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين» و قال: فتعساً لهم و أضل أعمالهم» و قال: «كبر مقتاً عندالله و عندالذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» و صلى الله على النبي محمد و آله و سلم تسليماً كثيراً، و في الجملة الاخيرة توبيخ مباشر لمن أقر تفضيل اختياره على اختيار الكامل سبحانه.

أنظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد(ص) كذبتهم و الله و أنفسهم، و منتهم الأباطيل فارتقوا مرتقى صعباً دحضاً، تزل عنه إلى الحضيض إقدامهم، راموا إقامة الامام بعقول حائرة باثرة ناقصة، و آراء مضلة، فلم يزدادوا منه إلا بعداً قاتلهم الله أنى يؤفكون)، و لقد راموا صعباً، و قالوا إفاك، و ضلوا ضلالاً بعيداً، و وقعوا في الحيرة، إذ تركوا الامام عن بصيرة، و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل و كانوا مستبصرين. رغبوا عن اختبار الله و اختيار رسول الله(ص) و أهل بيته إلى اختيارهم و القرآن يناديهم: «و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و تعالي عما يشركون» و قال عزوجل: و ما كان لمؤمن و لمؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» و قال: «ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه ما تخيرون أم لكم إيمان علينا بالغة الى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين»، و قال عزوجل: « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» أم « طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون» أم «قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شردوا عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم و لو أسمعهم لتولوا و هم معرضون» أم « قالوا سمعنا و عصينا» بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم».

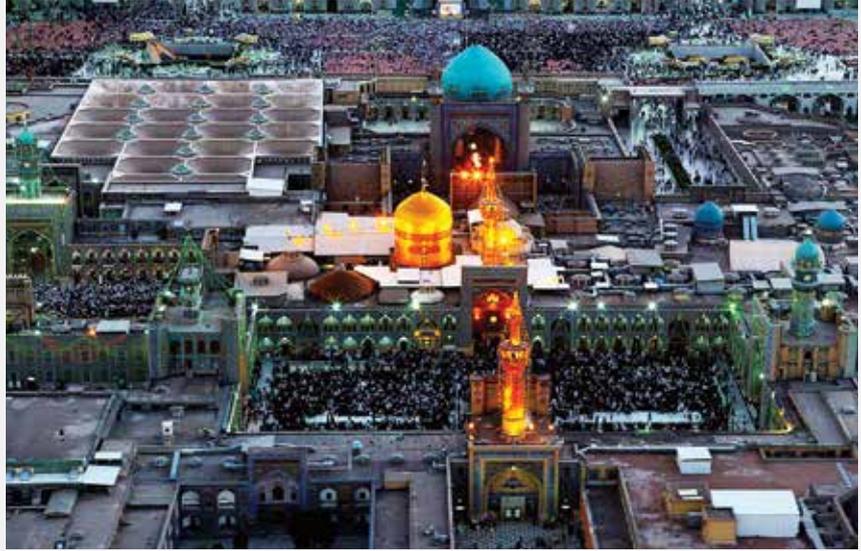
خامساً: كمالات الامامة:

و عرض الرضا(ع) تكامل الشخصية المختارة للإمامة من جهات عدة فقال: «بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم، فكيف لهم باختبار الامام؟! و الامام عالم لا يجهل، و راع لا ينكل، معدن القدس و الطهارة، و النسك و الزهادة، و العلم و العبادة، و مخصوص بدعوة الرسول(ص) و نسل المطهرة البتول، لامغمز فيه في نسب، ولايدانيه ذو حسب، في البيت من قريش و الذروة من هاشم، و العترة من الرسول(ص) و الرضا من الله عزوجل، شرف الاشراف، و الفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل العلم، مضطلع بالامامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزوجل، ناصح لعبادالله، حافظ لدين الله.

فمن تلك الجهات كمال العلم، و تمام العبادة و الزهادة، و كمال القيادة و شرف النسب النبوي.

سادساً: الامتداد الطبيعي:

و في هذا المقطع من كلامه ربط الرضا(ع) ربطاً



الثانية.

و أما الثالثة: فحين ميز الله الطاهرين من خلقه، فأمر نبيه (ص) بالمباهلة في آية الإبتهاال، فقال عزوجل: فقال يا محمد« تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين» فأبرز النبي (ص) علياً والحسن والحسين وفاطمة(صلوات الله وسلامه عليهم) و قرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرن ما معنى قوله عزوجل: « و أنفسنا وأنفسكم»؟ قالت العلماء: عنى به أنفسهم. فقال أبوالحسن(ع): غلظتم، إنما عنى بها علي بن أبي طالب(ع) و مما يدل على ذلك، قول النبي(ص) حين قال: لينتهي بنو وليعة أو لأبعث إليهم رجلاً كنفي، يعنى علي بن أبي طالب(ع) فهذه هي خصوصية لا يتقدمه فيها أحد، و فضل لا يلحقه فيه بشر، و شرف لا يسبقه إليه خلق أن جعل نفس علي كنفسه، فهذه الثالثة.

و أما الرابعة: فأخراجه (ص) الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك و تكلم العباس، فقال: يا رسول الله تركت علياً و أخرجتنا! فقال رسول الله(ص): ما أنا تركته و أخرجتكم، و لكن الله تركه و أخرجكم. و في تبيان قوله لعلي(ع): أنت مني بمنزلة هارون من موسى، قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟ قال أبوالحسن (ع) أوجدكم في ذلك قرآناً أقرؤه عليكم؟ قالوا: هات. قال قول الله عزوجل: و أوحينا الى موسى و أخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة» ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، و فيها أيضاً منزلة علي(ع) من رسول الله و مع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله حين قال: ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد و آله.

فقالت العلماء: ياأباالحسن، هذا الشرح و هذا البيان، لا يوجد الا عندكم معشر أهل بيت رسول الله. فقال: و من ينكر لنا ذلك؟ و رسول الله(ص) يقول: أنا مدينة العلم و على بابها، فمن اراد المدينة فليأتها من بابها، ففيما اوضحنا و شرحنا من الفضل و الشرف و التقدمة و الاصطفاء و الطهارة ما لا ينكره معاند، و لله عزوجل الحمد على ذلك، فهذه الرابعة. والآية الخامسة قول الله عزوجل: « و أت ذالقرى حقه» خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها و اصطفاهم على الامة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله(ص) قال: ادعوا لي فاطمة. فدعيت به، فقال: يا فاطمة. قالت: لبيك يا رسول الله. فقال(ص): هذه فدك، هي مما لم يوجف عليه بخيل و لراكب، وهي لي خاصة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به، فخذها لك و لولدك، فهذه

محكم كتابه. فقال له المأمون أين ذلك من كتاب الله؟ فقال له الرضا(ع): في قوله عزوجل: إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل ابراهيم و ال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض» و قال عزوجل: في موضع آخر: « أم يحسدون الناس على ماأتاهم الله من فضله فقد أتينا آل ابراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً» ثم رد المخاطبة في إثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم» يعنى الذين قرنهم بالكتاب و الحكمة و حسدوا عليهم، فقوله: أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً» يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين، فالملك ها هنا هو الطاعة لهم».

تفسير الاصطفاء:

و تستمر المناظرة الحوارية إذ « قالت العلماء: فأخبرنا هل فسر الله عزوجل الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا(ع) فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعاً و موطناً: فأول ذلك قوله عزوجل: « و أنذر عشيرتک الأقرين» هكذا في قراءة أبي بن كعب، و هي ثابتة في مصحف عبدالله بن مسعود، و هذه منزلة رفيعة و فضل عظيم و شرف عال حين عنى الله عزوجل بذلك الآل، فذكره لرسول الله(ص) فهذه واحدة.

و الآية الثانية في الاصطفاء، في قوله عزوجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهرکم تطهيراً» و هذا الفضل الذي لا يجله أحد معاند أصلاً، لأنه فضل بعد طهارة تنتظر، فهذه

العترة، أهم الآل، أو غير الآل؟ فقال الرضا(ع): هم الآل. فقال العلماء: فهذا رسول الله(ص) يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي. و هؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمته. فقال أبوالحسن(ع) أخبروني هل تحرم الصدقة على الآل؟ قالوا: نعم. قال: فتحرم على الأمة؟ قالوا: لاو قال: هذا فرق ما بين الآل و الأمة» ثم شرع الامام يذكر الدلالة القرآنية في قوله بعد إقرارهم» و يحكم أين يذهب بكم، أضر بكم عن الذكر صفحا، أم أنتم قوم مسرفون! أما علمتم أنه وقعت الوراثة و الطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: و من أين ياأباالحسن؟ قال: من قول الله عزوجل: (ولقد أرسلنا نوحاً و إبراهيم و جعلنا في ذريتهما النبوة و الكتاب فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون) فصارت وراثثة النبوة و الكتاب للمهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أن نوحاً(ع) حين سأل ربه: فقال رب إن ابني من أهلي و إن وعدك الحق و أنت أحق الحاكمين) و ذلك أن الله عزوجل وعده أن ينجيهم و أهله، فقال له ربه: (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين). ولاريب في أن هذا النوع من الاستدلال يتطلب قوة نظر و عمق تدبر في النص القرآني ليست متاحة إلا للأمة المعصومين كما هو الحال فيما نحن فيه.

بيان فضل العترة:

و اتصل الحديث بسؤال المأمون بقوله «هل فضل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبوالحسن(ع): إن الله عزوجل أبان فضل العترة على سائر الناس في

الخامسة.

والاية السادسة: قول الله عزوجل جل جلاله: قل لأسألكم عليه أجرأ الا المودة في القربى» وهذه خصوصية للنبي(ص) الى يوم القيامة، و خصوصية لآل دون غيرهم، وذلك أن الله حكى في ذكر نوح(ع) في كتابه: يا قوم لأسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله و ما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون». و حكى عزوجل عن هود(ع) أنه قال: لأسألكم عليه أجرأ إن أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون» و قال عزوجل لنبيه(ص): قل يا محمد «لأسألكم عليه أجرأ الا المودة في القربى» ولم يفرض الله مودتهم الا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً و لا يرجعون الى ضلال أبداً. و أخرى أن يكون الرجل وادا للرجل، فيكون بعض أهل بيته عدواً له، فلا يسلم قلب الرجل له، فأحب الله عزوجل أن لا يكون في قلب رسول الله(ص) على المؤمنين شيء، ففرض عليهم مودة ذوي القربى، فمن أخذ بها و أحب رسول الله(ص) و أحب أهل بيته، لم يستطع رسول الله(ص) أن يبغضه لانه قد ترك فريضة من فرائض الله، فأبي فضيلة و أي شرف يتقدم هذا أو يدانسه؟ فأنزل الله هذه الاية على نبيه(ص): «قل لأسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى»...

٥- الآل قرآنيًا:

بعد تعداد ست آيات لبيان اصطفاء عترة النبوة طلب المأمون- بعد إقراره بالاصطفاء- من الرضا(ع) توضيح اختصاص الآل بالعترة الطاهرة من آيات الكتاب العزيز فقال: «فهل عندك في الآل شيئاً أوضح في القرآن؟ قال ابوالحسن(ع) نعم، أخبروني عن قول الله عزوجل: «يس و القرآن الحكيم* إنك لمن المرسلين* على صراط المستقيم» فمن عنى بقوله: (يس)؟ قالت العلماء(يس) محمد(ص)، لم يشك فيه أحد. قال ابوالحسن(ع): فان الله أعطى محمد(ص) و آل محمد(ص) من ذلك فضلا لا يبلغ أحد كنه وصفه إلا من عقله، و ذلك أن الله لم يسلم على أحد إلا على الانبياء(ص)، فقال تبارك و تعالی: «سلام على نوح في العالمين» و قال: «سلام على ابراهيم» و قال: «سلام على موسى و هارون» و لم يقل: سلام على آل نوح، و لم يقل سلام على آل موسى و لا على آل ابراهيم و قال «سلام على آل ياسين» يعني آل محمد(ص)-فقال المأمون: قد علمت أن في معدن النبوة شرح هذا و بيانه-فهذه السابعة.

و أما الثامنة: فقول الله عزوجل: «واعلموا أنها غنتم من شيء فأن لله خمسته و للرسول و لذی القربى» فقرن سهم ذي القربى مع سهمه و سهم

رسوله، فهذا فصل أيضاً بين الال و الأمة، لان الله جعلهم في حيز، و جعل الناس في حيز دون ذلك، و رضي لهم ما رضي لنفسه، و اصطفاهم فيه، فبدأ بنفسه، ثم برسوله، ثم بذی القربى بكل ما كان من الفي و الغنمية و غير ذلك مما رضيته عزوجل لنفسه ورضيه لهم، فقال و قوله الحق: «واعلموا أنها غنتم من شيء فأن لله خمسته و للرسول و لذی القربى» فهذا تأكيد مؤكداً و أثر قائم لهم الى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي لا يتأثره الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد. وأما قوله: «واليتامى و المساكين» فأن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم، و لم يكن له فيها نصيب، و كذلك المسكين اذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم، و لا يحل له أخذه، و سهم ذي القربى الى يوم القيامة قائم لهم، للغني و الفقير منهم، لأنه لا أحد أغنى من الله عزوجل و لامن رسوله(ص)، فجعل لنفسه معهما سهماً و لرسوله سهماً، فما رضيته لنفسه و لرسوله رضيته لهم، و كذلك الفيء ما رضيته منه لنفسه و لنبيه رضيته لذی القربى، كما أجراهم في الغنمية، فبدأ بنفسه جل جلاله، ثم برسوله، ثم بهم، و قرن سهمهم بسهم الله و سهم رسوله. و كذلك في الطاعة، قال: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الامر منكم»، فبدأ بنفسه، ثم برسوله، ثم بأهل بيته، و كذلك آية الولاية: «إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا» فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته، كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقروناً بسهمه في الغنمة و الفيء،

خص الرضا(ع)

الامامة بتفصيل تعريفي

مسهب لتبيان أهميتها

ووظائفها في قوله: إن

الامامة هي منزلة الانبياء وارث

الاصياء، إن الامامة خلافة الله

وخلافة الرسول(ص) ومقام

أمير المؤمنين(ع) و ميراث الحسن

و الحسين إن الامامة زمام الدين

ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا

و عز المؤمنين، إن الامامة أس

الاسلام النامي، وفرعه السامي

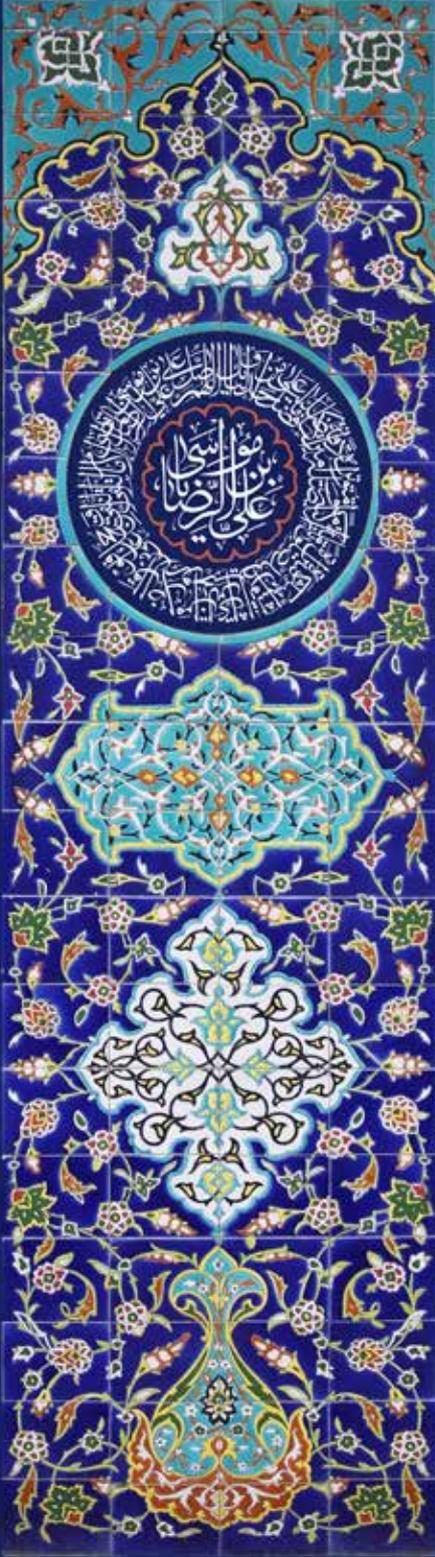
فتبارك الله و تعالی ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت! فلما جاءت قصة الصدقة نزه نفسه، و نزه رسوله، و نزه أهل بيته، فقال: «إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم و في الرقاب و الغارمين و في سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله» فهل تجد في شيء من ذلك أنه جعل عزوجل سهماً لنفسه أو لرسوله أو لذی القربى؟ لأنه لما نزه نفسه عن الصدقة و نزه رسوله نزه أهل بيته، لا بل حرم عليهم، لأن الصدقة محرمة على محمد و آله، و هي أوساخ أيدي الناس لا تحل لهم، لأنهم طهروا من كل دنس و وسخ، فلما طهرهم الله واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه عزوجل، فهذه الثامنة.

و أما التاسعة: فنحن أهل الذكر الذين قال الله في محكم كتابه: فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون». فقالت العلماء: إنما عنى بذلك اليهود و النصارى. فقال ابوالحسن سبحان الله! و هل يجوز ذلك؟ إذن يدعوننا الى دينهم. و يقولون: إنه أفضل من دين السلام. فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا، يا أبا الحسن؟ فقال(ع) نعم، الذكر: رسول الله(ص)، و نحن أهلها، و ذلك بين في كتاب الله عزوجل حيث يقول في سورة الطلاق: «فاتقوا الله يا أولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبینات» فالذكر رسول الله، و نحن أهلها، فهذه التاسعة.

و أما العاشرة: فقول الله عزوجل في آية التحريم: «حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم و أخواتكم»، فأخبروني هل تصلح ابنتي و أو ابنة ابني و ما تناسل من صلبی لرسول الله(ص) أن يتزوجها لو كان حياً؟ قالوا: لا. قال: فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها لو كان حياً؟ قالوا نعم. قال: ففي هذا بيان، لأنني من آله و أنتم من أمته، فهذا فرق ما بين الآل و الأمة، لان الآل منه، و الأمة اذا لم تكن من الآل ليست منه، فهذه العاشرة.

و أما الحادية عشرة: فقول الله عزوجل في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله و قد جاءكم بالبينات من ربكم»، فكان ابن خال فرعون، فنسبه الى فرعون بنسبه، و لم يصفه اليه بدينه، و كذلك خصنا نحن، إذ كنا من آل رسول الله(ص) بولادتنا منه، و عممنا الناس بالدين، فهذا فرق ما بين، فهذه الحادية عشرة.

أما الثانية عشرة: فقول الله عزوجل: «وأمر أهلك بالصلاة و اصطر عليها» فخصنا الله بهذه الخصوصية،



عرض الرضا (ع) تكامل الشخصية المختارة للإمامة من جهات عدة فقال:

«بل هو فضل الله يؤتبه

من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فكيف لهم باختيار الامام؟! و الامام عالم لا يجهل، و راع لا ينكل، معدن القدس و الطهارة، و النسك و الزهادة، و العلم و العبادة

ما أحب أن يسمع من سؤاله و إلا فللحديث صلة بينها فيما بعد لتلميذه أبي الصلت الهروي الذي روى تكلمة الخبر بقوله «فلما انصرف الرضا (ع) الى منزله أتته فقلت له: يابن الله (ص) ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين؟ فقال الرضا (ص) يا أباصلت إنما كلمته حيث هو ولقد سمعت أبي يحدث عن آبائه عن علي (ع) إنه قال: قال رسول الله (ص): يا علي أنت قسيم الجنة يوم القيامة تقول للنار: هذا لي و هذا لك». وفي ذلك غاية المراعاة لحال المخاطب، إذ يوهب السائل الجواب بقدر معرفة استقبال جوابه و انعدام عناده.

و سئل الامام الرضا (ع) «لأي علة صارت الامامة في ولد الحسين (ع) دون ولد الحسن (ع)؟ فقال الله عزوجل جعلها في ولد الحسين (ع) و لم يجعلها في ولد الحسن و الله «لايسأل عما يفعل». في اشارة الى حدود العقل و قصوره في إدراك المفاهيم الغيبية.

الخاتمة

مما تقدم من البحث، يمكن الخروج بجملة من النتائج المحددة نضعها بنقاط منها:

أولاً: شكل موضوع الامامة حيزاً كبيراً من حياة المجتمع يومذاك، تدل عليها مناظرات الامام الرضا و كثرة خطابه في ذلك.

ثانياً: بين الرضا الجوانب الروحانية و القيادية و الاجتماعية لوظائف الامامة.

ثالثاً: أكد الامام فلسفة اختيار الامامة بعدها اختيار الهياً لا يد للانسان فيها.

رابعاً: قوة استحضار النص القرآني و عمق الاستدلال و التفسير في الربط بين النصوص في أحاديث الرضا (ع) و مناظرته.

خامساً: وضع الامام الرضا (ع) عواقب العدول عن الاختيار الالهي بشجاعة و موضوعية.

أن أمرنا مع الامة بإقامة الصلاة، ثم خصنا من دون الامة، فكان رسول الله (ص) يجيئ الى باب علي و فاطمة بعد نزول هذه الاية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات، فيقول: الصلاة رحمكم الله. وما أكرم الله أحداً من ذراري الانبياء يمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها، و خصنا من دون جميع أهل بيته. فقال المأمون و العلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن الأمة خيراً، فما نجد الشرح و البيان فيما اشتبته علينا إلا عندكم. وصلى الله على رسوله محمد و آله و سلم كثيراً» و من العجب ولاغرابة مع أهل البيت- قوة استحضار الدليل القرآني و عمق الاستدلال به استدلالاً لا يقوى عليه غيرهم، باستعمال أسلوب الحصر و التقسيم الذي زاد الكلام رفعة و جمالاً، واستقصاء الدليل تلو الدليل.

ثانياً: و قفات توضيحية:

وقف الامام الرضا على بعض سيرة جده أمير المؤمنين في اشارة بليغة الى الربط بين سيرة المصطفى و المرتضى صلوات الله عليهما حين سئل من أحد أصحابه-الهيثم عبدالله الرماني- في قوله «يا بن رسول الله أخبرني عن علي بن أبي طالب (ع) لم لم يجاهد أعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله (ص) ثم جاهد في أيام ولايته؟ فقال: لأنه اقتدى برسول الله (ص) في تركه جهاد المشركين بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة و بالمدينة تسعة عشر شهراً و ذلك لقلقة أعوانه عليهم و كذلك علي (ع) ترك مجاهدة أعدائه لقلّة أعوانه عليهم، فلما لم تبطل نبوة رسول الله (ص) مع تركه الجهاد ثلاث عشرة سنة و تسعة عشر شهراً فكذلك لم تبطل إمامة علي مع تركه الجهاد خمساً و عشرين سنة إذا كانت العلة المانعة لهما واحدة».

و مثل ذلك استفهام المأمون من الامام الرضا في قوله «يا ابا الحسن أخبرني عن جدك أمير المؤمنين بأي وجه هو قسيم الجنة و النار و بأي معنى فقد كثر فكري في ذلك؟ فقال له الرضا (ع): يا امير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبدالله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: حب علي ايمان و بغضه كفر؟ فقال الرضا (ع): فقسمة الجنة و النار إذا كانت على حبه و بغضه فهو قسيم الجنة و النار، فقال المأمون: لأبقاني بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول الله (ص).

و بطريق الاستدراج العلمي للسامع بإقرار المأمون بصحة ما روي عن النبي (ص) في فضل علي أثبت الامام الرضا صحة هذه القسمة بين المحبين و المبغضين له، و الامام الرضا بفراسسته و بلاغته التي اقتضت مراعاة حال السامع فقد أجاب المأمون بقدر

الإمام(ع) في نص ولاية العهد على أن لا يُصدر أمرا ولا نهيا، وأن لا يحل أو لا يعقد شيئا هو خير دليل على أنه (ع) لم يقبل بهذا الموقع وهو في كامل حريته واختياره .

أجل إن ثمة نوعا آخر من "السلطان" تحلى به النبي (ص) وكذا الأئمة من أهل بيته (ع)، ومنهم الإمام الرضا (ع)، ألا وهو السلطان المعنوي، الذي جعلهم يتبعون على عرش العقول والقلوب، وهذا "السلطان" هو سر إمامتهم ومرجعيتهم على الصعيدين الفكري والروحي.

ففي الحقل المعرفي والفكري نجد من خلال ما ينقله لنا التاريخ أن قولهم (ع) هو الفصل وحكمهم العدل، ومنطقهم الصواب ورايهم الحق والسداد، وأن لكلامهم حلاوة خاصة وجاذبية استثنائية تشد إليها المسامع وتأخذ بمسامع القلوب، فهم إذا حاججوا أقتنعوا، وإذا حاوروا أبدعوا، وإذا تكلموا أجادوا وأفادوا ... وهذه إحدى أهم خصائصهم ومزاياهم، وما نقوله في المجال ليس مجرد مزاعم أو ادعاءات فارغة فهذه الخصوصية يقرّ لهم بها الخصم قبل الصديق، والبعيد قبل القريب، والصور والشواهد على هذا السلطان المعرفي كثيرة جدا تمتلئ بها كتب التاريخ، ونأمل أن تُوفّق للحديث عنها في مناسبة أخرى بعون الله تعالى ..

أما في المجال الروحي والمعنوي، فقد تحلى النبي (ص) والأئمة من أهل البيت (ع) بهيئة خاصة وسلطان معنوي استثنائي، وهي هيئة لا تخطئها العين، ولا تدانيها هيئة، وقد كانت هذه الهيئة بادية على محيا النبي(ص) وكل واحد من أئمة أهل البيت (ع) كما يتبدى ذلك بمراجعة كتب التاريخ والأحاديث، وإليك بعض النماذج القليلة مما حدثنا به التاريخ عن هذه الهيئة الحقيقية التي كانت لائحة في كريم وجوههم، لنحاول بعد ذلك أن نفهم سرها ومغزاها :

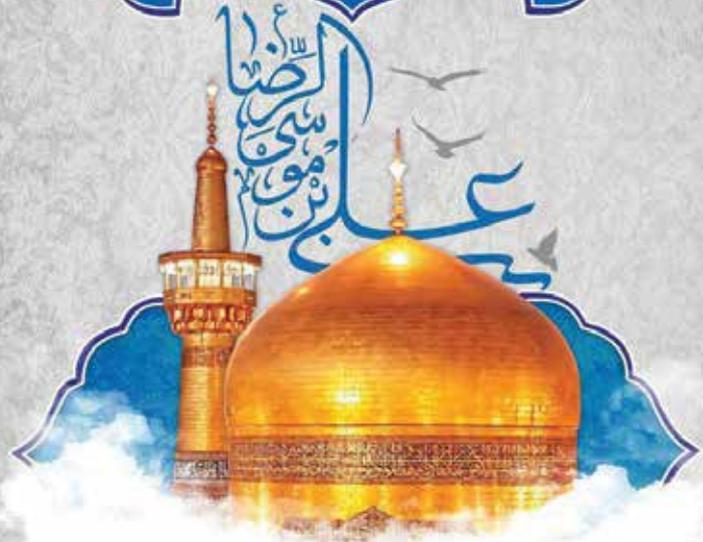
نماذج وعينات من هيئة النبي(ص) والأئمة(ع)

وهذه النماذج هي عينات قليلة مما يمكن أن يعثر عليه المنتبج للمصادر التاريخية والحديثية، وهي نماذج دالة على هيئة من نوع خاص تشير إلى أنك أمام شخصيات استثنائية في تاريخ البشرية:

هيئة النبي (ص)

النموذج الأول: هيئة النبي (ص)، وأكتفي هنا بنقل ما روي عن السيدة فاطمة الزهراء (ع) بشأن والدها، ففي الحديث أنها (ع) ذهبت إلى بيت رسول الله (ص) تشكو إليه بعض ما أصابها

أئمة أهل البيت و السلطان المعنوي



« الشيخ حسين الخشن

فإنه قد يختزن معنى سلبيا، على اعتبار أنه يوحي بأن الأئمة (ع) هم سلاطين، وأن الإمامة هي نوع سلطنة، وهذا فيه تشويه لحقيقة الإمامة ودورها في الحياة، وربما كان السبب في توصيف الإمام الرضا(ع) بهذا الوصف هو توليته (ع) ولاية العهد من قبل المأمون، ولكننا نعلم أن الإمام(ع) لم يتولاها اختيارا ورغبة منه بالسلطة، ولا أن الظروف كانت تسمح له بإدارة الحكم بالطريقة التي ترضي الله ورسوله (ص)، غاية ما هناك أنه (ع) لم يستطع رفض ما طلبه منه المأمون منه، حيث أمر على ضرورة تولي الرضا (ع) لمنصب ولاية العهد، لأغراض خاصة وأهداف معينة، هي أبعد ما تكون عن حصول "صحة ضمير" عند المأمون العباسي، وإدراكه أن الرضا(ع) هو أولى الناس بهذا الموقع، وإن اشتراط

يتردد على بعض الألسنة توصيف الإمام علي بن موسى الرضا(ع) بـ "السلطان"، وربما يطلق عليه البعض وصف "سلطان السلاطين"، ولا يزال القائمون على الحضرة الرضوية يقدمون عزفا موسيقيا صبيحة كل يوم من على بعض منائر الروضة الرضوية، كنوع من الاحترام والتقدير لـ "سلطان السلاطين" علي بن موسى الرضا(ع).

إلا أن قضية أوصاف الأئمة(ع) وألقابهم - حتى لو أننا استبعدنا القول بتوقيفيتها - لا بد أن تخضع لشيء من الدقة والاختيار المدروس حتى لا يتم استخدام أوصاف أو ألقاب لا تليق بهم أو تختزن معنى سلبيا أو مأخوذا من قواميس السلطة الجائرة والمستبدة، ولفظ "السلطان" مضافا إلى أننا لم نجد وروده في شيء من المصادر نقلًا عن أحد الأئمة(ع)،



لكثرة ما طحنت بيديها بالرحى، فلما دخلت عليه، وسلمت فإذا بها ترجع دون أن تكلمه بحاجتها، فقال لها أمير المؤمنين: ما لك؟ قالت: والله ما استطعت أن أكلم رسول الله (ص) من هيئته.. (مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢). وأهمية هذا الكلام أن قائلة هي فاطمة بنت محمد (ص)، وفي العادة فإن الولد - ذكراً كان أو أنثى - تسقط الكثير من الحدود بينه وبين أبيه، بسبب كثرة المخالطة ودوام العشرة وما إلى ذلك، إلا أن الزهراء (ع) تحدثنا أنها لم تستطع أن تكلم أبها رسول الله (ص) من هيئته!

وهذا المعنى نفسه نجده فيما يروى عن أمير المؤمنين (ع) في حديث خطبته للزهراء (ع) قال: "دخلت على رسول الله (ص) وكانت له جلالة وهيبة، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم.. (بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١١٩)

هيبة أمير المؤمنين (ع)

النموذج الثاني: في خبر ضرار بن ضمرة عندما دخل على معاوية وقال له صف لي علياً، قال: أو تعفيني؟ فقال: لا، بل صفه لي. فقال له ضرار: رحم الله علياً كان والله فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألناه، ويقرّبنا إذا زرناه، لا يغلق له دوننا باب، ولا يحجبنا عنا حجاب، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيئته، ولا نبتديه لعظمته، فإذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

فقال معاوية: زدني في صفته

فقال ضرار: رحم الله علياً، كان والله طويل السهاد، قليل الرقاد، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، ويوجد لله مهجته، ويؤ إلى به بعبرته، لا تغلق له الستور، ولا يدخر عنا البدور، ولا يستلين الإتكاء، ولا يستخشن الجفاء، ولو رأيتيه إذ مثل في محرابه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه وهو قابض على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا، إلى تعرضت، أم إلي تشوقت، هيهات هيهات لا حاجة لي فيك، أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي عليك، ثم يقول: واه واه لبعد السفر وقلة الزاد وخشونة الطريق" (الأمالي للصدوق ٧٢٤)

هيبة الإمام الحسن (ع)

النموذج الثالث: هيبة الحسن (ع): كانت هيئته بحيث "إذا جلس على باب داره انقطع الطريق فما مر أحد إجلالاً له"، ويروى أنه "كان في طريق

"ما ينطق لساني بين يديك، فلإني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني هيبة قط مثل ما تداخلني من هيبتك". وعن أبي حنيفة: "دخلت على المنصور وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به، دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر فسلمت عليه فأومأ إليّ فجلست.

هيبه الرضا (ع)

النموذج السابع: هيبه الرضا (ع)، يروي الصدوق في عيون أخبار الرضا (ع) بسنده إلى ياسر الخادم قصة تولي الإمام ولاية العهد إلى أن يقول: فلما حضر العبد بعث المأمون إلى الرضا عليه السلام يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب ليطمئن قلوب ويعرفوا الناس ويعرفوا فضله وتقر قلوبهم على هذه الدولة المباركة فبعث إليه الرضا عليه السلام وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة والجد والشاكرية (الأجير والمستخدم) هذا الأمر فطمئن قلوبهم وبقروا بما فضلك الله به، فلم يزل يرده الكلام في ذلك، فلما أُلح عليه قال: يا أمير المؤمنين أن أعفيتني من ذلك فهو أحب إليّ، وأن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله (ص) وكم خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال المأمون: أخرج كما تحب وأمر المأمون القواد والناس أن يبكروا إلى باب أبي الحسن الرضا عليه السلام فقعده الناس لأبي الحسن الرضا عليه السلام في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان واجتمع القواد على باب الرضا عليه السلام فلما طلعت الشمس قام الرضا عليه السلام، فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه وتشمر، ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت، ثم أخذ بيده عكازة وخرج ونحن بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، فلما قام ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات فخيل إلينا أن الهواء والحيطان تجاوبه والقواد والناس على الباب قد تزينوا ولبسوا السلاح وتهيئوا بأحسن هيئة فلما طلعتنا عليهم بهذه الصورة حفاة قد تشمرنا وطلع الرضا عليه السلام وقف وقفة على الباب قال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما أبلانا ورفع بذلك صوته ورفعنا أصواتنا فتزعزعت مرو من البكاء والصياح فقالها ثلاث مرات فسقط القواد عن دوابهم ورموا بخفافهم

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم يكاد يمسه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم ينمي إلى ذروة العز التي قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم يغضي حياءً ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم

(مناقب أبي طالب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٠٦).

إن انفراج الناس للإمام زين العابدين (ع) أثناء الطواف، والحال أن الكثيرين منهم قد لا يعرفونه، لأنهم حجاج أتوا من شقة بعيدة، ليس إلا بسبب أن نور وجهه قد أعطاه مهابة خاصة، على طريقة أهل الجنة، "نورهم يسعي بين أيديهم وبأيمانهم".

هيبه الباقر (ع)

النموذج الخامس: هيبه الإمام الباقر (ع)، ففي حديث جابر الأنصاري قال: "خرج محمد بن علي الباقر من عند النساء وعلى رأسه ذؤابة وهو غلام، فلما أبصرته ارتعدت فرائصي وقامت كل شعرة من بدني".

هيبه الصادق (ع)

النموذج السادس: هيبه الإمام الصادق (ع)، ففي حوار له مع ابن أبي العوجاء تراه يقول للإمام (ع):

أما في المجال الروحي والمعنوي، فقد تحلى النبي (ص) والأئمة من أهل البيت (ع) بهيبة خاصة وسلطان معنوي استثنائي، وهي هيبه لا تخطئها العين، ولا تدانيها هيبه، وقد كانت هذه الهيبه بادية على محيا النبي (ص) وكل واحد من أئمة أهل البيت (ع) كما يتبدى ذلك بمراجعة كتب التاريخ والأحداث

الحج ماشياً فكل من رآه نزل حتى سعد بن أبي وقاص". وهذه الهيبه ورثها الحسن (ع) عن جده رسول الله (ص) ففي الحديث: "أما الحسن فله هيبتي وسؤددي" (مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩ ص ١٥٨، والخصال للصدوق ص ٧٧).

هيبه زين العابدين (ع)

النموذج الرابع: علي بن الحسين (ع)، قال الفرزدق:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته
فما يكلم إلا حين يتسم

ومعنى يغضي: يدني جفنيه على الحدقة، وقد قال الفرزدق هذا البيت من ضمن قصيدة معروفة له إرتجلها وهو في إحدى المواقف المشهودة، حيث بانث فيها تلك المهابة الخاصة لزين العابدين (ع)، وذلك عندما ذهب هشام بن عبد الملك لحج بيت الله الحرام ولما توجه لاستلام الحجر الأسود "لم يقدر على الاستلام من الزحام، فنصب له منبر وجلس عليه وأطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي ابن الحسين وعليه إزار ورداء من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كأنها ركة عنز، فجعل يطوف، فإذا بلغ موضع الحجر تنحى الناس حتى يستلمه هيبه له فقال شامي: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه، لتلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكني أنا أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فأنشأ قصيدة جاء فيها:

يا سائلي أين حلّ الجود والكرم
عندي بيان إذا طلبه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي أحمد المختار والده
صلى عليه إلهي ما جرى القلم
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه
لخرّ يلثم منه ما وطى القدم
هذا علي رسول الله والده
أمست بنور هده تهتدي الأمم
هذا الذي عمه الطيار جعفر
والمقتول حمزة ليث حبه قسم
هذا ابن سيدة النسوان فاطمة
وابن الوصي الذي في سيفه نغم

لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وصارت مروضة واحدة ولم يتمالك الناس من البكاء والضجيج وكان أبو الحسن عليه السلام يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفه، فكبر أربع مرات فتخيل إلينا أن السماء والأرض والحيطان تجاوبه وبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع، فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه، فلبسه ورجع" (عيون أخبار الرضا (ع).

هبة الهادي (ع)

النموذج الثامن: هبة الإمام الهادي

(ع) ، قال المسعودي في مروج

الذهب: "سعي إلى المتوكل

بعلي بن محمد الجواد

عليهما السلام أن في منزله

كتبا وسلاحاً من شيعته

من قم، وأنه عازم على

الوثوب بالدولة، فبعث

إليه جماعة من الأتراك،

فهموا داره ليلاً فلم

يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه

في بيت مغلق عليه، وعليه

مدرعة من صوف، وهو جالس

على الرمل والحصا، وهو متوجه إلى

الله تعالى يتلو آيات من القرآن! فحمل على

حاله تلك إلى المتوكل، وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً

ووجدناه يقرأ القرآن مستقبلاً القبلة، وكان المتوكل

جالساً في مجلس الشرب، فدخل عليه والكأس في يد

المتوكل. فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه،

وناوله الكاس التي كانت في يده فقال (ع): والله

ما يخامر لحمي ودمي قط، فاعفني فأعفاه، فقال:

أنشدني شعراً فقال عليه السلام: إني قليل الرواية

للشعر، فقال: لا بد، فأشده عليه السلام وهو

جالس عنده:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم

غلب الرجال فلم تتفهم القلل.

واستنزلوا بعد عز عن معاقلمهم

وأسكنوا حفرا يا بثسما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد دفنهم

أين الأساور والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة

من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما أكلوا دهرًا وقد شربوا
وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا

قال: فبكي المتوكل حتى بلت لحيته دموع
عينيه، وبكى الحاضرون، ودفع إلى علي عليه السلام
أربعة آلاف دينار، ثم رده إلى منزله مكرماً. وروى
الكراكجي في كنز الفوائد قال: فضرب المتوكل
بالكأس الأرض وتغص عيشه في ذلك اليوم.

يحتاج إلى تيجان ولا زخارف ولا سلطة ولا جاه، ألا
وهي هبة التقوى المستقاة من نور الإيمان، إذ كلما
ازداد الإنسان إيماناً ومعرفة بالله وخشية منه وتوكلًا
عليه.. كلما أعطاه الله مهابة وجلالاً واحتراماً في
قلوب العباد، وإذا اجتمعت التقوى مع العلم زانت
الإنسان وزادته مهابة واحتراماً، ففي الحديث عن
الإمام الصادق(ع): "من أراد عزاً بلا عشيرة وغنى
بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذل معصية
الله إلى ذل طاعته." (الخصال للشيخ الصدوق
ص ١٦٩)

وإن هبة النبي (ص) وأهل بيته (ع) هي من
نوع الهيبة الثابتة وغير المستعارة، بل هي في
المستوى الأعلى من هذه المهابة، لأنهم أهل
الله تعالى وعباده المخلصون وأهل
التقوى والورع، وتقاهم وورعهم
هذا هو الذي أورثهم مهابة
خاصة واستثنائية، هذا
بالإضافة إلى كونهم حجج
الله على العباد وقد
أعدهم الله للقيام
بدوراستثنائي في هداية
العباد، ما يعني أن
ثمة سبباً خاصاً وإضافياً
يجعلهم محاطين بهذا
اللطف الإلهي الذي يزيدهم
مهابة وجلالاً، ولك أن تقول: إن
هذه الهيبة ناشئة عن نور الإمامة

والنبوة اللائح في محياهم، وهذا ما يعني
أن مهابة الإمام(ع) أو سلطانه المعنوي هو أحد
دلائل إمامته، وهذا ما أشارت إليه بعض الروايات
الواردة عنهم، ففي رواية الحلبي عن الصادق (ع)
قال: "دخل الناس على أبي قالوا: ما حد الإمام؟
قال: حده عظيم، إذا دخلتم عليه فوقروه وعظموه
وأمنوا بما جاء به من شيء، وعليه أن يهديكم، وفيه
خصلة، إذا دخلتم عليه لم يقدر أحد أن يملأ عينيه
منه إجلالاً وهيبة، لأن رسول الله(ص) كذلك كان،
وكذلك يكون الإمام". (بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٤٤).
إن هبة الإمام تبلغ حداً تجعل له سلطاناً
معنوياً على النفوس وعلى القلوب والعقول وهذا
هو سر عظمة أهل البيت (ع) الذين جاهدوا
أنفسهم في الله فزادهم الله هدى وأعطاهم نورا
يمشون به بين الناس. نسأل الله أن يمدنا بقبس من
هذا النور في دنياننا وأخراننا إنه على كل شيء قدير .

سر هذه المهابة:

والسؤال الذي يواجهنا بعد استعراض هذه
النماذج الدالة على هبة من نوع خاص كانت
متوفرة عند الأمة (ع) : ما سر هذه الهيبة وكيف
نفهمها؟

وفي الجواب نقول : لا يخفى أن هبة بعض الناس
تأتيهم دون جهد أو اختيار بل نتيجة بسطة في
الجسم من الله بها عليهم أو جمال يهبهم إياه،
فهذا قد يمنح الإنسان شيئاً من المهابة، وهكذا
فيان البعض من أصحاب الجاه قد تحصل لهم
هبة مصنعة تضيفها عليهم المظاهر المادية من
الزخارف والتيجان والمناصب .. إلا أن هذه المهابة
هي مهابة عابرة وطائرة ومستعارة وسرعان ما
تزلزل.

إلا أن هناك نوعاً آخر من المهابة هو أكثر عمقاً
وتأثيراً واستمرارية لا يرتبط بالمظاهر المادية ولا



صور مشرقة من تواضع الإمام الرضا

« الشيخ عبد الله اليوسف

السلام) إذا أكل أحدنا لا يستخدمه حتى يفرغ من طعامه (٦).

وفي هذه الأمثلة من الدروس والعبر ما يجب الاقتداء به (عليه السلام)، فالمعاملة مع الخدم والخدامات يجب أن ينطلق من التعامل الإنساني، والإحسان إليهم، والعفو عن أخطائهم كما كان يفعل الإمام (عليه السلام).

ومؤدج آخر للتواضع يقدمه لنا الإمام الرضا (عليه السلام) في خدمة الضيوف، فعن عبيد بن أبي عبد الله البغدادي عمن أخبره قال: نزل بأبي الحسن الرضا (عليه السلام) ضيف وكان جالساً عنده يحدثه في بعض الليل فتغير السراج، فمد الرجل يده ليصلحه، فزيره أبو الحسن (عليه السلام) ثم بادره بنفسه فأصلحه ثم قال: إنا قوم لا نستخدم أضيافنا (٧).

وينفي الإمام الرضا (عليه السلام) عن نفسه وباقى الأئمة الأطهار ادعاء البعض أن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) يرون أن الناس لهم عبيد، إذ أن الأئمة (عليهم السلام) ينظرون إلى أن الناس سواسية إلا في منزلة العصمة والعلم والولاية العامة، يقول أبو الصلت الهروي:

سألت الإمام الرضا (عليه السلام) فقلت له: يا ابن رسول الله ما شيء يحكيه عنكم الناس؟ قال: وما هو؟ قلت: يقولون أنكم تدعون أن الناس لكم

فيحدثهم ويأنس بهم ويؤنسهم (٣). وتواضع الإمام الرضا (عليه السلام) لم يكن عن تكلف أو مباهاة، بل هو جزء من تكوينه الذاتي والشخصي، كما أنه ممزوج بالتقوى والورع. قال له رجل: أنت والله خير الناس.

فقال له: لا تحلف يا هذا، خير مني من كان أتقى لله عز وجل وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٤).

وقال له آخر: والله ما على وجه الأرض أشرف منك أباً.

فقال: التقوى شرفتهم، وطاعة الله أحظتهم (٥). فالإمام الرضا (عليه السلام) يتعامل مع الناس من منظور الحفاظ على كرامة الإنسان وحفظ حقوقه حتى وإن كان من المستضعفين أو المحرومين أو الفقراء أو العبيد والخدم.

فقد روى ياسر الخادم ونادر جميعاً قالاً: قال لنا أبو الحسن (صلوات الله عليه): إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون، فلا تقوموا حتى تفرغوا، ولربما دعا بعضنا فيقال: هم يأكلون، فيقول: دعوهم حتى يفرغوا.

وعن نادر الخادم قال: كان أبو الحسن (عليه

ضرب الإمام الرضا (عليه السلام) أروع الأمثلة في التواضع، وهذه الصفة من ذاتيات الإمام (عليه السلام) التي لا تنفك عنه بحال، وقد أورد التاريخ العديد من الأمثلة الدالة على تواضعه فقد أخرج الشيخ الكليني بسنده: ((إن الإمام الرضا (عليه السلام) في سفره إلى خراسان فعدا يوماً مائة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائة فقال: مَهْ، إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال)) (١).

وروى الشبلنجي: أن الإمام الرضا (عليه السلام) دخل يوماً الحمام، فبينما هو في مكان من الحمام، إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه، وقال: صب على رأسي، فصب على رأسه، فدخل من عرفه، فصاح: يا جندي هلكت!! أتستخدم ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأقبل الجندي يقبل رجليه، ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك؟ فقال الإمام: إنها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه (٢).

وعن إبراهيم بن العباس: أنه كان إذا خلا ونصبت الموائد أجلس على مائدته مما ليكه ومواليه حتى البواب والسائس. وعن ياسر الخادم: كان الرضا إذا خلا جمع حشمه كلهم عنده الصغير والكبير

وقفات مع الإمام الرضا (ع): تراث وسيرة أئمتنا (ع) نبغ دائم للأمة

« آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله

الإمام الرضا (ع) يصف خيار العباد:

من كلمات الإمام علي بن موسى الرضا (ع) في صفات خيار العباد الذين يحبهم الله ورسوله، عندما سُئِلَ - فيما روي عنه - عن خيار العباد، فقال (ع): "الذين إذا أحسنوا - الإحسان إلى الله بأن يطيعوه، والإحسان إلى الناس بأن يقوموا بخدمتهم وقضاء حاجاتهم - استبشروا - امتلأوا فرحاً إذا وُقِّفوا لذلك، لأن الله أراد للإنسان المؤمن أن يأخذ بالإحسان كما يأخذ بالعدل، وقد جاء في قوله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان} (النحل: ٩٠) - وإذا أساءوا - فإذا صدرت منهم الخطيئة، سواء كانت في معصية لله أو في الإساءة إلى الناس - استغفروا - بادروا إلى الاستغفار، لأن الإنسان المؤمن لا يصر على المعصية، {والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون} (آل عمران: ١٣٥٥).

- وإذا أعطوا شُكروا - فهم يشكرون الله على نعمه، ويشكرون الناس على عطاياهم، وقد ورد في الحديث: "من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق".
- وإذا ابتلوا صبروا - فالله سبحانه وتعالى يريد للمؤمن أن يكون صابراً عند نزول البلاء، {ولنبليوكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشَّر الصابرين* الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون} (البقرة: ١٥٥-١٥٧).
- وإذا غضبوا عفاوا، فإذا أغضبهم الناس في أي موقع يثير مشاعرهم، فإنهم يعفون عنهم ولا يقومون تجاههم برء الفعل.

صفات المؤمن العاقل

وفي حديث آخر يروى عن الرضا (ع)، وربما عن رسول الله (ص) وعن الإمام الباقر (ع)، لأن كلامهم واحد وحديثهم حديث رسول الله (ص)، عندما سُئِلَ عن صفات المؤمن العاقل، فقال (ع): "لا يكون المؤمن عاقلاً حتى تجتمع فيه عشر خصال: الخير منه مأمول - فإذا عاش في أي مجتمع، سواء كان مجتمعاً عائلياً أو أكبر من ذلك، فإنَّ الناس يأملون منه الخير، لأنهم يرون فيه الإنسان الخير الذي يحب الخير لنفسه وللناس.
- والشرف منه مأمون - لأن الإنسان المؤمن لا يمكن أن يصدر منه الشر لأحد، لأن الله يبغض الذين يصنعون الشر. ولذلك فإن إيمان المؤمن يمنعه من أن يمارس الشر ضد الآخرين، ولاسيما الضعفاء منهم.
- يستكثر قليل الخير من غيره - فإذا منحه الآخرون الخير يراه كثيراً، ولا يعتبره قليلاً ومحدوداً - ويستقل كثير الخير من نفسه - عندما يخدم الناس في حاجاتهم ويقوم بأعمال الخير تجاههم، فإنه يرى ما يقوم به قليلاً، لأنه يعتبر أنَّ عليه أن يأتي بأكثر من ذلك - لا يسأم من طلب الحوائج إليه - فإذا طلب الناس حوائجهم منه وكثرت هذه الطلبات، فإنه لا يمل من ذلك، بل



عبيد، فقال: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت شاهد بأنني لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي (عليهم السلام) قاله قط، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة، وأن هذه منها، ثم أقبل عليّ، فقال لي: يا عبد السلام إذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما حكموه عنا فممن نبيعهم؟ قلت: يا ابن رسول الله صدقت، ثم قال: يا عبد السلام أمتك أنت لما أوجب الله تعالى لنا من الولاية كما ينكره غيرك؟ قلت: معاذ الله، بل أنا مقرر بولايتكم (٨).

فالإمام الرضا (عليه السلام) ينظر إلى الناس باحترام، ويحفظ للجميع حقوقهم المعنوية والمادية، ويرون أنهم لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ونختم الحديث عن تواضع الإمام الرضا (عليه السلام) بما كتبه السيد محمد جواد فضل الله عن سلوك الإمام في التواضع إذ يقول: ((وحيثما نرى الإمام يجلس إلى مائدته، ومن حوله مماليكه، وبوابه، وسائس دوابه، فليس إلا ليعطي الأمة درساً في الإنسانية الفاضلة التي تؤمن بكرامة الإنسان، وليعرض نظرية الإسلام عملياً في طبيعة السلوك الذي يجب أن يعتمده الإنسان، وفرعة المقام وسمو المركز لا يستدعيان أن يحتقر الإنسان من دونه في ذلك، أو يشعر بوضاعة شخصيته، ولو كان ذلك الإنسان عبداً مملوكاً، ليتبين من ذلك عقدة تباين الطبقات فتتسع الهوية بين أفراد الأمة، ويتوزع كيائها في فضائل متنافرة يمزقها الحقد وتنهشها البغضاء)) (٩).

وخلاصة القول: إن تواضع الإمام الرضا (عليه السلام) يجسد مفردة من مفردات الأخلاق الإسلامية، والتواضع صفة ملازمة للأنبياء والأئمة والأولياء.. فلنقتد بالإمام في تواضعه لمكمل الناس، ولنكن مثالاً للتواضع والأخلاق الحسنة.

الهوامش:

- ١- روضة الكافي، الشيخ الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ج ٨، ص ١٨٦، رقم ٢٩٦، والبحار ج ٤٩، ص ١٠١، رقم ١٨.
- ٢- نور الأبصار، مؤمن الشبلنجي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٣٥٧.
- ٣- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٢، ص ٥٤٨.
- ٤- سورة الحجرات، الآية: ١٣.
- ٥- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٩، ص ٩٥، رقم ٨.
- ٦- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٩، ص ١٠٢، رقم ٢٣.
- ٧- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٩، ص ١٠٢، رقم ٢٠.
- ٨- عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، رقم ٦.
- ٩- الإمام الرضا: تاريخ ودراسة، السيد محمد جواد فضل الله، ص ٤٦.

الصراف المستقيم، وهذا هو دور الأمة من أهل البيت (ع)، والذين ساروا في خط جدهم رسول الله (ص) الذي عاش حياته كلها من أجل أن يرفع مستوى الناس، ويعرفهم الله سبحانه وتعالى، ويربطهم به، ويقربهم إليه، ليجعل من أمتهم أمةً حضاريةً قويةً.

ولذلك، أيها الأحبة، على الذين يذهبون إلى زيارة الإمام الرضا (ع)، أن لا يكتفوا بالدخول إلى المرقد المطهر وقرأوا الزيارة، بل أن يقفوا ليتأملوا عظمة هذا الإمام، وليستعدوا كل علمٍ علّمه للناس وأعطاهم إياه، لأن الأمة من أهل البيت (ع) وإن لم يكونوا حاضرين معنا، إلا أن علمهم وتراثهم وسيرتهم حاضرة معنا. ولذلك فإن على التابعين لخط الأمة من أهل البيت (ع) ونهجهم، أن يعملوا للسير في منهجهم، والأخذ بتراثهم، والتعلم منهم كما لو كانوا حاضرين بيننا.

والسلام على الإمام علي بن موسى الرضا (ع)، يوم ولد، ويوم انتقل إلى رحاب ربه، ويوم يبعث حياً.

يدرس كل هذه الحاجات، فإذا رأى نفسه قادراً على قضائها، يقضيها وإلا ردها رداً جميلاً.

- ولا يمل من طلب العلم طول دهره - فهو يعتبر أن مسؤوليته أن يطلب العلم ليملاً عقله وليقوّ معرفته، لأن الله أراد للإنسان أن يطلب منه الاستزادة من العلم، وفي ذلك قوله تعالى: {وقل ربّ زدني علماً} (طه: ١١٤٤)، وميّز بين المتعلّم وغير المتعلّم في قوله تعالى: {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} (الزمر: ٩).

- الفقر في الله أحب إليه من الغنى مع عدوه - فإذا دار الأمر بين أن يغتني من أعداء الله، وبين أن يفتقر في طاعة الله، فإنه يفضل الفقر في طاعة الله. - والذلّ في الله أحب إليه من العزّ في عدوه - فإذا كانت نفسه الأثارة بالسوء تطلب العز من عدو الله سبحانه وتعالى، كما حدثنا الله عن ذلك بقوله تعالى: {الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أبتغون عندهم العزّة فإن العزّة لله جميعاً} (النساء: ١٣٩)، فهم يعتبرون أن الذل في الله أحب إليهم من العزّ مع عدوه، لأن الله هو الذي يعطي العزّة، {قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير} (آل عمران: ٢٦٦).

- والخمول أشهى إليه من الشهرة - فهو يعمل الخير، ويخدم الناس، ويقضي حاجاتهم، ويقدم لهم العلم، لا طلباً للشهرة، إنّما التزاماً بالمسؤولية - ثم قال (ع): العاشرة وما العاشرة، قيل له: ما هي؟ قال (ع): أن لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنّما الناس رجلان: رجل خير منه وأتقى - في صفاته وطاعته وروحانيته ومحبته لربه وإخلاصه لله - ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي هو شر منه وأدنى، قال: لعلّ خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شرّ لي، وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، فإذا فعل ذلك، فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسن ذكره، وساد أهل زمانه".

الإمام الرضا (ع): منهج في العلم والعمل

هذا بعض ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع)، هذا الإمام الذي كانت حياته منفتحة على الناس كلهم، فهو لم يكن يترك أية فرصة تفوته دون أن يعلم الناس أمور دينهم، ويرشدهم إلى قضايا حياتهم، ويسير بهم نحو



مؤسسه فرهنگی، هنری و انتشارات بین المللی الهدی

Alhoda International, Cultural, Artistic
& Publishing Institution

دارالهدی الثقافية و الفنية للنشر الدولي



تهران، خیابان ولی عصر (عج)، نرسیده به فاطمی، پلاک ۱۹۲۴ | 1924 Valiasr Ave. (next to Fatemi St.) Tehran-I.R. of Iran
تلفن: ۸۸۸۹۷۶۶۲، ۸۸۸۹۳۶۹۷ تلفکس: ۸۸۸۹۵۰۰۳ بازرگانی: ۸۸۸۹۵۰۰۳ | Tel: (+9821) 88897662, 88895003 Fax: (+9821) 88893697

WWW.ALHODAGROUP.IR